ويبقى العشق

الكتاب: ويبقى العشق

قصص

عمرو محمد مرزوق

الطبعة الأولى 2018

رقم الإيداع: 15433/ 2018

الترقيم الدولي: 978-977-85391-21-1

الناشر: السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام: لمياء السعيد

36 شارع عبد الحميد الديب بجوار شركة القاهرة للأدوية شبرا مصر برج الهادي.

0222017260
01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

عمرو محمد مرزوق

ويبقى العشق

قصص

مقدمة

ويبقى العشق ...

يبقى هو الحياة لقلوب حالفها القدر أن تجد نصفها الآخر ، فنبضت حباً وتنفست عشقاً ، قلوب عاشت لحظة صدق.. نبضة حب .. خفقة عشق ، فقررت أن تضحى من أجل ذلك بعمر بأكمله.

فقد أدركوا أن العمر بأكمله لا يساوى في عمر الحب لحظة ، قلوب شعرت أن سنوات العمر لا يمكن أن تستوعب ذلك العشق وتلك المشاعر التي صمدت أمام نوائب الدهر وتحديات الزمن .

فحينما تتنفس القلوب عشقاً تذوب الأرواح وتتحد لتصنع عالم لا يوجد به بُعد أو فراق ، عالم لا تستطيع قوى الأرض أن تقتحمه لتفرق بين تلك الأرواح العاشقة ، حتى لو تفرقت الأجساد في عالمنا القاسي ، تبقى الأرواح هناك لتلتقي وتتحد وتهفو ، ترنو إلى ساعة لقاء لا فراق بعدها أبداً .

في هذ الكتاب سوف نرى بعض أساطير العشق الذى بقى أريجها يهدى العاشقين.. سنرى كيف يجمع الحب بين قلبين ليرتقي بهما إلى مصاف عاشقين قد تحنو عليهما الدنيا فتجمع بينهما لتضحى كالجنة بعد أن كانت صحراء جافة قاحلة في عالم أضحى يقتل ويحارب كل ما هو نقى وطاهر وبرئ .

وقد تقسو عليهم الدنيا فتضن باللقاء ، ليفترقوا في أرض الفناء ، ولكن تبقى أرواحهم لتهفو.. تترقب لقاء لن يأتي ، فتعيش على أمل اللقاء في عالم آخر بلا قيود ولا حواجز ولا كراهية أو ظلم ، عالم لا فراق فيه .

إنه العشق ..

تلك الحالة الفريدة التي يرتقى فيها الإنسان ليتخلص من قيود ومساوئ الدنيا ، من أحقاد البشر ، ليروي قلبه بالحب ، ذلك السر الأبدي الذى خلقه الله ليسكن قلوب البشر ، لتدرك معنى الحياة ولتختصر الدنيا في قلب واحد تكتفى به عن العالم ، تتدثر به ليكون دفئها أمام برودة الأيام ، قلب يحتويها حين تضيق الدنيا ، يحميها من قسوة الحياة وآلامها .

ويخطئ من يظن أن الحب لم يدق باب قلوب رسل وأنبياء الله، ظنا منهم أن الحب خطأ، والحقيقة أن سلوك وإطار هذا الحب هو الجوهر والفيصل، وما كان لرسل الله أن يتعدوا حدود الله، لذلك

فقد أحب الأنبياء زوجاتهم وعاملوهن بمنتهى الرقة والحنان ونلن قدرا عظيما عندهم، وحكى لنا القرآن الكريم والسنة النبوية قصصا تروى مواقف للمرأة والحب في حياة الرسل والصحابة..

وسنتناول في هذا الكتاب أهم تلك القصص الأبدية لصور المودة والرحمة ابتداءً برسول الله صلى الله علي وسلم حتى عصرنا الحديث في دراسة مبسطة أرجو أن تنال إعجابكم..

الحلقة الأولى

إن أروع قصة حب عرفها التاريخ ..و تذكرها كتب السير ..هي قصة حب عاشت خمسة و عشرين عاما ...ليس هذا وحسب. بل ودامت بعد وفاة الحبيبة حتى توفي الحبيب صلى الله عليه و سلم.. هي قصة نبينا الحبيب صلى الله عليه و سلم و أمنا الحبيبة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

كانت السيدة خديجة رضي الله عنها من أشرف نساء مكة..ذات حسب و نسب و غنى و مال ..وكانت صاحبة تجارة ... بحثت يوما عمن يدير لها تجارتها في الشام ..فسمعت عن محمد بن عبد الله ..ولم يكن نبيا بعد...سمعت عن أخلاقه و مانته ..فائتمنته على تجارتها ..وكان صلى الله عليه و سلم وقتها في الخامسة و العشرين من عمره وكانت رضي الله عنها في الأربعين من عمرها

و أعجبت رضي الله عنها بأخلاقه صلى الله عليه و سلم و ما رأت منه من حسن أخلاق وأمانة ..خاصة و أن غلامها ميسرة الذي كان يرافق النبي

عليه السلام في رحلات التجارة كان دوما يحدثها عن محمد صلى الله عليه وسلم... فأخبرت صديقة لها يوما عن محمد ..وكان اسمها نفيسة.. فعرضت عليها صديقتها أن تجمع بينهما بزواج..فما كان من السيدة خديجة إلا أن فرحت فرحا شديدا و قالت : نعم يا نفيسة

وذهبت نفيسة إلى النبي صلى الله عليه و سلم و عرضت عليه الزواج.. ففرح صلى الله عليه و سلم بهذا الزواج العظيم من أشرف نساء مكة ..و تزوج عليه السلام خير نساء العالمين زواجا مباركا كان منه من الابناء القاسم و الطاهر و عبد الله ..وكان منه من البنات : زينب و أم كلثوم و رقية و فاطمة

كانت السيدة خديجة رضي الله عنها نعم الزوجة.. فهي كانت تربي تحت جناحها ابن عم النبي صلى الله عليه و سلم سيدنا علي كرم الله وجهه..و كانت تربي في بيتها زيد بن حارثة حب النبي عليه السلام ...

واستمرت فترة زواج النبي صلى الله عليه و سلم بها دامت 25 عاما... 15 منها دامت قبل البعثة ..و عشرة أعوام منها كانت بعد بعثته صلى الله عليه و سلم ..خلال الخمسة عشر عاما التي سبقت البعثة بدأ النبي صلى الله عليه و سلم يعتكف في غار حراء.. فكانت رضي الله عنها تحضر له الطعام و الشراب ..وتصعد الجبل إلى غار حراء ..رغم كبر سنها ..و توصله للحبيب صلى الله عليه و سلم

ثم بدأت إرهاصات النبوة

عندما نزل جبريل على النبي عليه السلام في غار حراء أول ما

نزل..خاف النبي خوفا عظيما... فقد نزل جبريل على النبي في صورته الحقيقية..و قال للنبي : اقرأ فقال عليه السلام : ما أنا بقارئ (أي أني لا أجيد القراءة و الكتابة) فأخذه جبريل فغطه بين جناحيه و قال اقرأ فأعادها النبي و أعادها جبريل ..حتى قال له في الثالثة : اقرأ باسم ربك الذي خلق ..خلق الإنسان من علق

روى الإمام البخاري في صحيحه وغيره عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه عندما رجع رسول الله صلى الله وسلم أول ما أوحي إليه من غار حراء (فدخل على خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد - ابن عم خديجة- وكان امرأ تنصر في الجاهلية فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال : يا ابن أخي ماذا ترى؟

فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى (أي في الغار).

فقال ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا)

تحملت مع النبي صلى الله عليه و سلم مشاق الدعوة ..حتى إنها حوصرت معه و مع المسلمين في مكة و منع عنهم الطعام و عمرها يقارب ال 62

انفقت مالها للإسلام و في خدمة الدعوة.. و في حماية النبي صلى الله عليه و سلم ..لم يتزوج النبي صلى الله عليه و سلم بحياتها و قبل وفاتها أتى جبريل- عليه السلام- رسول الله فقال: هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

فلما جاءت خديجة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لها: إن الله يقرأ على خديجة السلام. قالت: خديجة بنت خويلد إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام

توفيت رضي الله عنها بمكة المكرمة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد أن بلغت من العمر خمسة وستين عاما و حزن النبي صلى الله عليه و سلم لوفاتها حزنا عظيما حتى خاف الصحابة عليه خوفا شديدا..و سمي العام الذي توفيت به عام الحزن

بعد وفاتها كان النبي عليه السلام شديد الذكر لها ..شديد الوفاء لها ..حتى إنه يوم فتح مكة..يوم نصر المسلمين ..بعد وفاتها رضي الله عنها بحوالي 14 عاما ..في ذلك اليوم العظيم رأى النبي صلى الله عليه و سلم امرأة عجوز تقبل نحوه..فترك الصحابة و ذهب نحوها مسرعا.. وأخذها و أجلسها على عباءته و بقي يتحدث معها قرابة الساعة ..حتى

جاءت السيدة عائشة إليه و سألته : من تلك المرأة فقال : إنها إحدى صاحبات خديجة

فقالت: و عم كنتما تتكلمان

فقال: كنا نذكر خديجة و الأيام الجميلة

فقالت عائشة : لا زلت تذكرها و قد أبدلك الله خيرا منها

فغضب النبي عليه السلام غضبا شديدا و قال : لا و الله ما أبدلني الله خيرا منها آمنت إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس

و لشدة حب النبي لها حتى بعد وفاتها كانت السيدة عائشة تقول ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها،

رضي الله عنها و أرضاها ..و صدق رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم :

أفضل نساء أهل الجنة أربع : خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم

****

الحلقة الثانية

(حب الرسول عليه الصلاة والسلام للسيدةعائشة)

بعد عام الحزن على سيدنا محمد لوفاة السيدة خديجة وبعد موتها بسنة تأتى امرأة من الصحابة للنبي -صلى الله عليه وسلم-وتقول له : يارسول الله ألا تتزوج؟ لديك سبعة عيال ودعوة هائلة تقوم بها ..فلابد من الزواج قضية محسومة لأى رجل

فيبكى النبي -صلى الله عليه وسلم-وقال: وهل بعد خديجة أحد؟

ولولا أمر الله لمحمد-صلى الله عليه وسلم-بالزيجات التي جاءت بعد ذلك لما تزوج أبدًا

وقد اختلفت الآراء حول السن التي تزوج بها الرسول الكريم محمد(صلى الله عليه وسلم) من السيدة عائشة أو كما كان يقال قديما «بنى بها».. كل ما يهمنا هو الزواج، وفارق السن كان متعارفا عليه في ذلك الوقت، فسيدنا عمر تزوج من ابنة سيدنا على بن أبى طالب وهو أكبر من

أبيها.. وقد لا يعرف البعض أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل ذلك لجبير بن مطعم بن عدى صاحب أبى بكر رضى الله عنه. وعندما عرضت السيدة خولة بنت حكيم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) الزواج من عائشة رحب وأرسلها إلى أبى بكر.. ولأن أبا بكر رجل يحترم كلمته كان لابد أن يتحلل من وعده أولا وجاءته الفرصة عندما تخوف والدا العريس من أن يدخل ابنهما الإسلام وكانوا لا يزالون على جاهليتهم، فتحلل أبوبكر بهذا التخوف من جانبهما من وعده.. وتزوجها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكانت الأحب إلى قلبه..

إلا أن عائشة كانت تعلم جيدا مدى حب الرسول (صلى الله عليه وسلم) للسيدة خديجة، أولى زوجاته، والتي لم يتزوج عليها في حياتها وحزن عليها بعد وفاتها حزنا كبيرا حتى سمى عام رحيلها بعام الحزن. وكانت شديدة الغيرة منها حتى بعد وفاتها، ويقال إن الرسول قد رأى عائشة في المنام مرتين قبل ارتباطه بها.. ومن جهة أخرى يبدو أن السيدة عائشة لم تشعر بالغربة عند انتقالها من بيت أبيها إلى بيت زوجها إذ كان يتركها تلعب على سجيتها. وعندما كانا يتشاجران، كان أبوبكر ينحاز للرسول (صلى الله عليه وسلم) بل كاد يضرب عائشة ذات مرة لأن صوتها كان عاليا أثناء الشجار إلا أن الزوج (صلى الله عليه وسلم) دافع عنها..

ورغم تعدد زيجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأسباب سياسية ودينية إلا أن مكانة السيدة عائشة كانت معروفة، لدرجة أن الرسول

(صلى الله عليه وسلم) كان يستغفر الله لعدم قدرته على العدل بين زوجاته وكان يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك». والحق أن الحب كان متبادلا فكانت عائشة تتجمل وتتحرى ما يعجبه من الطيب وتتحنى لأجله.. لم تكن مجرد زوجة بل كانت رفيقة درب وكانت تشرح للنسوة ما يستحى هو من شرحه وكان يصفها (صلى الله عليه وسلم) بالعروة الوثقى. ولذا أخذت عنها الأحاديث النبوية بعد وفاته..

ولكن على الرغم من هذا التفضيل والحب عاشت السيدة عائشة منغصاً عليها وفى جوفها غصة، وذلك لأنها لم ترزق بابن.وهناكأمر آخر كان ينغص على عائشة حياتها: زيجات الرسول الكثيرة فقد عرف عنها غيرتها الشديدة واتخذت من حفصة بنت عمر بن الخطاب حليفة لها.. وعندما غارت من زينب بنت جحش وكانت شابة شديدة الجمال اتفقت مع بقية الزوجات على حيلة تصرفه عنها فكان أن دخل على إحداهن قالت له: أكلت مغافير وهو ثمر حلو كريه الرائحة.. وكانت زينب قد سقته عسلا فكانت النتيجة أن امتنع عن شرب العسل عند زينب. حكاية أخرى: كان قد كتب على أسماء بنت النعمان بن الأسود وكانت شديدة الجمال فاتفقت عائشة مع بقية الزوجات على زيارتها قبل الزواج ونصحنها أن تستعيذ بالله فور رؤية الرسول ففعلت حاسبة أنها ترضيه فأعرض عنها عليه الصلاة والسلام ولم تنجح مساعي الصلح وعادت إلى أهلها وعندما عرف الرسول ما حدث ضحك (صلى الله عليه وسلم) وقال: «إنهن صواحب يوسف، إن كيدهن عظيم».

إلا أن أكثر من غارت منها عائشة كانت مارية القبطية التي أنجبت للرسول الولد إبراهيم. وكنت قد أفردت لمارية مقالا في رمضان الماضي.. الخلاصة ببساطة أن المرأة عندما تحب تتصرف كامرأة حتى ولو كانت زوجة سيد الخلق محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

ومن مواقف رسولنا الكريم مع السيدةعائشة أنه لم ينس – صلى الله عليه وآله وسلم – أن يمازح زوجاته ويسلي عنهن، فتحكي السيدة عائشة رضي الله عنها كيف دعاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتشاهد كيف يرقص أهل الحبشة بالحراب في المسجد، فتقول إن النبي سمع لغطًا وصوت صبيان، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قوم من الحبشة يرقصون، والصبيان حولها فقال: "يا عائشة، تعالى فانظري"، فجاءت السيدة عائشة ووضعت ذقنها على كتف رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم – وأخذت تشاهد من ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لها: "أما شبعت، وأما شبعت؟" قالت: فجعلت أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده".

وكان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم– يسابق السيدة عائشة ويتركها تسبقه، ثم يسابقها مرة أخرى فيسبقها ويقول لها ضاحكًا: "هذه بتلك".

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها قدم الرسول –صلى الله عليه وآل وسلم – مرة من غزوة وفي سهوتي– أي مخدعي– ستر، فهبت الريح فانكشف ناحية الستر عن عرائس لي لعب، فقال ما هذا يا عائشة؟ قلت بناتي، ورأى صلى الله عليه وآله وسلم بينهن فرسا له جناحان من غير قاع –من جلد– فقال: ما هذا الذي وسطهن؟ قلت فرس فقال صلى الله

عليه وآله وسلم فرس له جناحان، قلت: أما سمعت أن لسليمان -عليه السلام- خيل لها أجنحة؟ قالت: فضحك -صلى الله عليه وسلم- حتى رأيت نواجذه.

بل كان يترك المجال لزوجاته رضي الله عنهن أن يمزحن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: زارتنا سودة يومًا فجلس رسول الله بيني وبينها، إحدى رجليه في حجري، والأخرى في حجرها، فعملت لها حريرة فقلت: كلي! فأبت فقلت: لتأكلي، أو لألطخن وجهك،فأبت فأخذت من القصعة شيئاً فلطخت به وجهها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجله من حجرها لتستقيد منى، فأخذت من القصعة شيئاً فلطخت به وجهي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك.

وتحكي أمنا عائشة أنها كانت تغتسل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إناء واحد، فيبادرها وتبادره، حتى يقول لها دعي لي، وتقول له دع لي.

ولم يخجل الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من أن يظهر حبه لزوجاته فكان يقول عن السيدة خديجة رضي الله عنها: "رزقت حبها"، وعندما سأله سيدنا عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يراعي غيرة زوجاته ويقدر مشاعرهن فقد استضاف مرة بعض أصحابه في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه في إعداد الطعام فأرسلت السيدة أم سلمة طعامًا

فدخلت السيدة عائشة لتضع الطعام الذي أعددته فوجدتهم يأكلون، فغارت وغضبت وأحضرت حجرًا ناعمًا صلبًا ففلقت به الصحفة التي أرسلتها أم سلمه، فجمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين فلقتي الصحفة، وقال لأصحابه: "كلوا.. كلوا.. غارت أمكم.. غارت أمكم" وهو يضحك، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمه لعائشة.

وكان الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم يتجمل لزوجاته ويتطيب لهن، فتقول السيدة عائشة: كأني أنظر إلى وبيض المسك في مفرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وسُئِلَتْ: "بأي شيء كان يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك".

المواقف الرومانسية للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجاته كثيرة، ومن الصعب أن تحصر، فقد فهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله نفسية المرأة، وعلم ما يطيب خاطرها ويجعل البيت واحة للحب والحنان والرحمة، ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

اللهم صل على محمد و على آله و صحبه وسلم عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله

❊ ❊ ❊

الحلقة الثالثة

رحمة حفيدة النبى يوسف بن يعقوب
وزوج النبي أيوب والصبر على الابتلاء

زوجة صابرة أخلصت لزوجها، وقفت إلى جواره فى محنته حين نزل به البلاء، واشتد به المرض الذى طال سنينا عديدة، ولم تُظْهِر تأفّفًا أو ضجرًا، بل كانت متماسكة طائعة.

إنها زوجة نبي الله أيوب – عليه السلام – الذى ضُرب به المثل في الصبر الجميل، وقُوَّة الإرادة، واللجوء إلى الله، والارتكان إلى جنابه. فامرأة أيوب عليه السلام، هى من النساء التي خلدها التاريخ في صبرها مع زوجها، وأيضـًا هي من اللاتي تركن أنصع الآثار في دنيا النساء الفضليات.

هذه المرأة هي «رحمة» زوجة النبي أيوب عليه السلام، وحفيدة النبي يوسف عليه السلام، وفى اسمها خلاف عند المفسرين، فيُقال إنها

«ليا»، بنت يعقوب، وقيل: ليا بنت منشا بن يعقوب، ويقال إن اسمها كان «ناعسة»، ويُرجح المفسرون أن اسمها كان «رحمة» أو «رحيمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب»، والله أعلم.

واستدل بعضهم على الاسم بقوله تعالى: «وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ» (سورة الأنبياء، آية: 84). قال ابن كثير معلقًا على هذا يشير إلى فهمه: ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال: «رحمة» من هذه الآية، فقد أبعد النجعة، وأغرق النزع.

كان أيوب أحد أغنى الأنبياء.. وكانت زوجته تعيش في نعيم حتى ابتلى الله زوجها

فصبرت رحمة حين أحرقت النار زرع أيوب وقضت على ممتلكاته.. ثم حين مات الأولاد وأصابت الزوج الأمراض وكان عليها ان تعمل في أشق الأعمال لتوفر الرزق لزوجها المريض.. وقصت شعرها لتبيعه وتشترى بثمنه طعامًا

كان أيوب – عليه السلام – مؤمنًا قانتًا ساجدًا عابدًا لله، بسط الله له في رزقه، ومدّ له في ماله. يعدالنبي أيوب أحد أغنياء الأنبياء، وكانت رحمة زوج أيوب تعيش في نعيم وجنات وعيون، وذلك في بلاد الشام. كانت رحمة قد آمنت مع أيوب وبدعوته، فقد كان أيوب –عليه السلام– برًا تقيًا رحيمًا، يحسن إلى المساكين، ويكفل الأيتام والأرامل، وكان شاكرًا لأنعم الله عليه، مؤديًا لحق الله عز وجل. كان أيوب له أولاد وأهلون كثير، وكانت زوجه رحمة ترفل في النعيم، شاكرة عابدة عارفة حق الله

على العباد في الشكر، فقد كانت تُكثر الحمد والشكر والثناء على الله عز وجل؛ إذ رزقها من البنين والبنات ما تقر به عينها ولا تحزن، وأوسع عليها وعلى زوجها من الرزق شيئًا مباركًا، وفضلهما على كثير من خلقه.

وكانت للنبي أيوب – عليه السلام– ألوف من الغنم والإبل، ومئات من البقر والحمير، وعدد كبير من الثيران، وأرض عريضة، وحقول خصيبة، وكان له عددٌ كبير من العبيد يقومون على خدمته، ورعاية أملاكه، ولم يبخل أيوب – عليه السلام– بماله، بل كان ينفقه، ويجود به على الفقراء والمساكين.

يقول الله تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (سورة البقرة، الآيات: 157-155).

وإذا كان الصبر قوام الحياة كلها، فإنه ألزم ما يكون في ساعة المحن التي يبتلى الله تعالى عبده بها، فهنا يكون الصبر مفروضًا عليه، لتنقلب المحنة في حقه إلى منحة، وتتحول البلية إلى عطية، وكما يقول ابن قيم الجوزية إن الله – سبحانه وتعالى– لم يبتله ليهلكه؛ وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته.

خضعت زوج أيوب، رحمة، لامتحان رباني فيما آتاها الله وزوجها، فنجحت في هذا الامتحان بتوفيق من الله، وبرهنت على صدقها مع الله سبحانه. فقد أراد الله – عز وجل– أن يختبر أيوب في إيمانه، فأنزل به

البلاء، فكان أول ما نزل عليه ضياع ماله وجفاف أرضه؛ حيث احترق الزرع وماتت الأنعام، ولم يبق لأيوب شيء يلوذ به ويحتمى فيه غير إعانة الله له، فصبر واحتسب، ولسان حاله يقول في إيمان ويقين: عارية الله قد استردها، وديعة كانت عندنا فأخذها، نَعِمْنَا بها دهرًا، فالحمد لله على ما أنعم، وَسَلَبنا إياها اليوم، فله الحمد معطيًا وسالبًا، راضيًا وساخطًا، نافعًا وضارًا، هو مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء. ثم يخرّ أيوب ساجدًا لله رب العالمين.

ونزل الابتلاء الثاني، فمات أولاده، فحمد اللهَّ أيضًا وخَرّ ساجدًا لله، ثم نزل الابتلاء الثالث بأيوب – فاعتلت صحته، وذهبت عافيته، وأنهكه المرض، لكنه على الرغم من ذلك ما ازداد إلا إيمانًا، وكلما ازداد عليه المرض؛ ازداد شكره لله.

وتمر الأعوام على أيوب – عليه السلام – وهو لا يزال مريضًا، فقد هزل جسمه، ووهن عظمه، وأصبح ضامر الجسم، شاحب اللون، لا يقِرُّ على فراشه من الألم. وازداد ألمه حينما بَعُدَ عنه الصديق، وفَرَّ منه الحبيب، ولم يقف بجواره إلا زوجته العطوف تلك المرأة الرحيمة الصالحة التي لم تفارق زوجها، أو تطلب طلاقها، بل كانت نعم الزوجة الصابرة المعينة لزوجها.

يقول ابن كثير، ونقرأ عند المسعودي وكذا ابن الأثير في «الكامل في التاريخ»، تفاصيل توضح إلى أي حدٍ ابتلى النبي أيوب، فقد زال كل ماله بعد أن أرسل الله تعالى إليه نارًا اجتاحت أرزاقه وقضت عليه، فلم يهتز

إيمانه ويقينه بالله تعالى، بل صبر واحتسب كعبد شكور راضٍ بحكم الله تعالى وبمشيئته، وأصبح مضرب الأمثال في صبره، حتى ليُقال «صبر أيوب».

كما مات كل أولاد أيوب - عليه السلام- وأصيب بالأمراض فاعتلت صحته وهزل جسمه وظل يعانى من آلام الفقر وعذاب المرض والوحشة؛ إذ أصبح بلا ابن ولا أخ ولا صديق فقد مات أبناؤه وتخلى عنه الأهل والأصدقاء بعد ابتلائه. غير أن زوجته رحمة هي الوحيدة التي وقفت بجانبه بإخلاص وصبر تواسيه وتشد من أزره وتحثه على الصبر وتخفف عنه آلام المرض وترفع من روحه المعنوية وتخدمه وتحمد الله معه وأيوب على ما به من ضر وبلاء لا يقتر عن ذكر الله.

لم تكن رحمة تفارق زوجها المبتلى بالمرض والفقر ليلاً ولا نهارًا وقد رفضه جميع الناس، وقالوا لرحمة: أخرجيه من قريتنا فأخرجته رحمة وذهبت به إلى خارج القرية بالفلاة وافترشت له التراب، فكانت تسهر على خدمته طوال الليل.

وذكر النيسابوري ورواه ابن طبارة في كتابه «مع الأنبياء في القرآن» إن رحمة ظلت بجانب زوجها أيوب عليه السلام وكانت تسهر على راحته وتمرضه. وكانت تذهب إلى القرية كل يوم وتعمل لأهل البيوت حتى تحصل على طعام وتأتى به إلى أيوب وكانت تطعمه بيدها وتسقيه الماء.

وأورد صاحب كتاب «العرائس» للثعلبي ما رواه وهب بن منبه والسدى: إن رحمة خرجت ذات يوم لتلتمس طعامًا فلم تحصل على طعام لتأتى به إلى أيوب فحز ذلك في نفسها وأشفقت على زوجها إذا ما

رجعت إليه بدون طعام فقامت على ضفيرتها تقصها وباعتها واشترت بثمنها طعامًا لزوجها.

كانت الزوجة رحمة تسعى للحصول على رزقها ورزق زوجها بكفاحها وعملها وعرق جبينها وكد يمينها، وقيل إنها كانت تعمل في أقسى الأعمال وأشقها وفى الأعمال التي لا تتناسب مع مكانتها السابقة، ولكن كلها كانت شريفة لا تمس شرفها. وكانت تضطرها شدة الحاجة إلى التسول وسؤال الناس، وقد ألجأتها شدة الحاجة كما أسلفنا إلى أن تجذ شعرها وتبيعه للحصول على طعام بثمنه لزوجها.

وكانت رحمة جميلة، فتعرضت لمضايقات الكثير وإغرائهم لها بالمال والهدايا الثمينة، ولكنها كانت عفيفة شريفة حرة فتردهم فى حزم وصرامة. وقد عرض أحد الرجال الأثرياء الأقوياء ممن يتمتعون بنفوذ قوى وجاه وسطوة الزواج على رحمة على أن تترك أيوب المبتلى الذى أصبح لا يقوى على الحركة، لكنها صدته بعنف وحزم ورفضت هذا العرض السخى في إباء وشمم، وفضلت الوفاء على هذا الإغراء.

قال الحسن رحمه الله: ضُرب أيوب بالبلاء ثم البلاء بعد البلاء بذهاب الأهل والمال، وصبر أيوب - عليه السلام- وصبرت زوجه رحمة صبرًا جميلاً، فقد تعودت أن تكل أمرها إلى الله عز وجل.

إلا أن أيوب قد ابتلى في جسده، ومسه الضُر، وطال بلاؤه ومرضه أيامًا وأعوامًا، وهو في ذلك كله صابرٌ محتسب، ذاكر الله في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه، وفى كل وقت، طال مرض أيوب - عليه السلام-

حتى كاد ينقطع عنه الناس، ولم يبق أحدٌ يحنو عليه سوى رحمة زوجه، فقد كانت ترعى له حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها عندما كان في بحبوحة من العيش، وبسطة من الصحة والجسم.

أظهرت رحمة لزوجها النبي أيوب من الحنان ما وسع قلبها، واعتنت به ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. لم تشتكِ من هموم آلامه، ولا من تخوفات فراقه وموته. ظلت راضية حامدة صابرةً مؤمنةً، تعمل بعزم وقوة؛ لتطعمه وتقوم على أمره، وقاست من إيذاء الناس ما قاست.

ارتقت رحمة زوج أيوب - عليه السلام- منزلة مباركة وعالية في مقام الصدق، واقتعدت مكانًا عليًا في منازل الأبرار، حيث عاشت مع زوجها في محنته، وكانت مثال المرأة البارة ومثال الزوجة الصابرة الراضية بقضاء الله وقدره.

ولهذا وصفها ابن كثير بقوله: الصابرة، والمحتسبة، المكابدة، الصديقة، البارة، والراشدة، رضى الله عنها.

ومع أن الشيطان كان يوسوس لها دائمًا بقوله: لماذا يفعل الله هذا بأيوب، ولم يرتكب ذنبًا أو خطيئة؟ فكانت تدفع عنها وساوس الشيطان وتطلب من الله أن يعينها، وظلت في خدمة زوجها أيام المرض سبع سنين.

وقال محمد بن أحمد جاد المولى في كتابه «قصص القرآن»:

إن إبليس لعنه الله تعرض لرحمة في طريقها وكانت قد رجعت من عملها ومعها بعض طعام، فوقف لها في الطريق بصورة شيخ وقال لها: أين زوجك؟ قالت : هو هذا عميدًا وقيذًا يتضور من الحُمّى ويتقلب مما

ألح عليه من الداء، لا هو ميت فينعى ولا هو حي فيرجى. فلما سمع قولها طمع في إغوائها، فأخذ يذكرها بما كان لزوجها في صدر شبابه وغضاضة أهابه من صحة وعافية ونعمة صافية.

فأعادت لها الذكرى الأشجان وأثارت لديها كوامن الأحزان؛ ثم أخذ يدركها الفجر وينساب إلى قلبها اليأس.

أشفقت رحمة على زوجها أيوب - عليه السلام- إشفاقًا شديدًا ورثت لحاله، فلما رأت أن زوجها طال عليه البلاء، ولم يزدد إلا شكرًا وتسليمًا، عندئذ تقدمت منه وقالت له فيما رواه ابن عباس - رضى الله عنه-: يا أيوب، إنك رجل مجاب الدعوة، فادع الله أن يشفيك. فقال لها: كم مكثت في الرخاء؟ فقالت: سبعين. فسألها: كم لبثتُ فى البلاء؟ فأجابت: سبع سنين.

قال: أستحى أن أطلب من اللهَّ رفع بلائي، وما قضيتُ منِه مدة رخائي. وقيل إنه قال لها: كنا في النعماء سبعين سنة، فدعينا نكون في البلاء سبعين سنة. ولما سمعت رحمة من زوجها أيوب هذا الكلام الذى ينضح بالإيمان والتسليم والانقياد لله، وعرفت أنها لن تدرك منزلته، ولكنها استمرت في الإحسان إليه، وحفظت وده لإيمانها بالله تعالى وبرسوله أيوب، إلى أن كشف الله عنه الضّر، ومسته نفحة ربانية فعاد صحيحًا سليمًا.

وقد أثنى عليه الله سبحانه وتعالى فقال: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (سورة ص آية 44).

أقسم أيوب - حينما شعر بوسوسة الشيطان لزوجته رحمة- أن يضربها

مائة سوط، إذا شفاه الله؛ ثم دعا أيوب ربه أن يكفيه بأس الشيطان، ويرفع ما فيه من نصب وعذاب، قال تعالى: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ» [ص: 41].

فلما رأى الله صبره البالغ، رد عليه عافيته؛ حيث جاء الفرج الإلهي وجاءت الوصفة الطبية الربانية لأيوب؛ أما صفة هذه الوصفة الربانية فموجودة في القرآن الكريم والذكر الحكيم في قوله تعالى: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِى الأَلْبَاب» [ص:43-41].

في تفصيل ذلك نفهم أن الله -عز وجل- أمر النبي أيوب أن يضرب برجله الأرض. امتثل أيوب أمر ربه، ومس الأرض، فنبع منها الماء نقيًا عذبًا فراتًا سائغًا، فشرب منه فبرأ ما كان في بطنه من دقيق السقم وجليله، واغتسل فبرأ من ظاهره أتمّ براءة، فما كان يرسل الماء على عضو إلا ويعود في الحين أحسن ما كان قبل بإذن الله تعالى.

أما زوجته رحمة فقد كانت في طريقها إلى أيوب، ولم تكن معه ساعة اغتسل من الماء. وعندما وصلت نظرت إليه، أنكرته ولم تعرفه في بادئ الأمر، ولكنها حين أقبلت عليه وتحادثا عرفته، ولما أخبرها بما أكرمه الله، وبما منّ عليه من الشفاء، أخذت تبكى لله شكرًا له بأن منّ على زوجها بالشفاء، وسجدت شكرًا لله تعالى ثم قالت: إن ربى على كل شيء قدير، وإنه يحيى العظام وهى رميم.

احتار كيف يبرّ بقسمه ويضرب المرأة التي حنت عليه ورعته في مرضه، وصبرت على ابتلائها معه، فأوحى إليه الله تعالى بفتوى يبرّ بها قسمه. فمن رحمة الله بهذه الزوجة الصابرة الرحيمة أَن أَمَرَ اللهُ أيوبَ أن يأخذ حزمة بها مائة عود من القش، ويضربها بها ضربةً خفيفةً رقيقةً مرة واحدة ؛ ليبرّ قسمه، جزاءً له ولزوجه على صبرهما على ابتلاء الله «وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» [ص: 44].

أكرم الله عز وجل أيوب وزوجه رحمة، وردّ عليه ماله، وولده، وولد له مثل عددهم. وقد قيل: إن الله سبحانه قد آجر أيوب وزوجه فيمن سلف، وعوضهما فى الدنيا بدلهم. وهكذا جازاهما الله تعالى على صبرهما فى محنتهم، وأحسن لهما الجزاء، وردّ عليهما المال، ورزق نبيه عليه السلام من البنين مثل ما كان لديه، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: «وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ» (ص: 43).

❊ ❊ ❊

الحلقة الرابعة

قصة السيدة سارة وخليل الله سيدنا إبراهيم
عندما يتغلب الحب على الغيرة

لنرى إيثار السيدة سارة لزوجها وحبها له وتفضيلها لسعادته على رغبتها والذي كان سببا في أن عوّضها الله تعالى وأكرمها، فكانت قصة حب حقيقي خلدها الله تعالى في كتابه

خرجتْ مهاجرة في سبيل الله من أرض حران (قرية شمال العراق) مع زوجها إبراهيم وابن أخيه لوط -عليهما السلام- إلى فلسطين. ولما اشتد الجفاف في فلسطين هاجرت مع زوجها مرة أخرى إلى مصر. وسرعان ما انتشر خبرهما عند فرعون مصر الذي كان يأمر حراسه بأن يخبروه بأي امرأة جميلة تدخل مصر ليضمها إلى جواريه.

وذات يوم، أخبره الجنود أن امرأة جميلة حضرتْ إلى مصر، فلما علم إبراهيم بالأمر قال لها: "إنه لو علم أنك زوجتي يغلبني عليكِ (أي

يقتلني ليفوز بك)، فإن سألك فأخبريه بأنك أختي، وأنت أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في هذه الأرض مسلمًا غيرك وغيري". وطلب فرعون من جنوده أن يحضروا هذه المرأة، ولما وصلت إلى قصر فرعون دعت اللهَّ ألا يخذلها، وأن يحيطها بعنايته، وأن يحفظها من شره. وذهبت تتوضأ وتصلي وتقول: "اللهم إن كنتَ تعلم أني آمنتُ بك وبرسولك، وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلّط عليّ هذا الكافر".

فاستجاب اللهَّ دعاء عابدته المؤمنة فشَلّ يده عنها -حين أراد أن يمدها إليها بسوء. فقال لها: "ادعي ربك أن يطلق يدي ولا أضرك".

فدعت سارة ربها؛ فاستجاب الله دعاءها، فعادت يده كما كانت، ولكنه بعد أن أطلق اللهَّ يده أراد أن يمدها إليها مرة ثانية وثالثة وكل مرة تدعو سارة ربها أن يحفظها فتشلّ يده، ولما فشل وأيقن أنه لا فائدة تركها تهاجر من أرضه بسلام وأمر لها بجارية، وهي "هاجر" رضي الله عنها.

ورجع إبراهيم وزوجته إلى فلسطين مرة أخرى، ومرت الأيام والسنوات دون أن تنجب سارة ابنًا لإبراهيم، يكون لهما فرحة وسندًا، فكان يزعجها أنها عاقر لا تلد، فجاءتها جاريتها هاجر ذات مرة؛ لتقدم الماء لها، فأدامت النظر إليها، فوجدتها صالحة لأن تهبها إبراهيم، وظلت تفكر في تزويج السيدة هاجر لسيدنا إبراهيم ولكنها كانت تخاف أن يبتعد عنها وظلت مترددة لفترة إلى أن حسم حبها لسيدنا ابراهيم وثقتها فيه وفي أخلاقه وعدله ترددها واقترحت فكرة الزواج.

وتزوَّج إبراهيم -عليه السلام- "هاجر"، وبدأ شيء من الغيرة يتحرك في نفس سارة، بعد أن ظهرت علامات الحمل على هاجر، فلمّا وضعت هاجر طفلها إسماعيل -عليه السلام- طلبت سارة من إبراهيم أن يبعدها وابنها، ولأمر أراده اللهَّ أخذ إبراهيم هاجر وابنها الرضيع إلى وادٍ غير ذي زرع من أرض مكة عند بيت الله الحرام، فوضعهما هناك في رعاية اللهَّ وعنايته، وداعيا لهما بأن يحفظهما الله ويبارك فيهما، فدعا إبراهيم -عليه السلام- ربه بهذا الدعاء:

{رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم :37].

ومضت السنوات حتى تخطت السيدة سارة التسعين من العمر وقد ارتضت بنصيبها من الدنيا ونست حلمها بالأمومة، إلا أن الله لم ينس تلك الأمنية التى استقرت طويلاً بقلبها وبشرت رسل الله إبراهيم بأنها ستنجب ولدًا اسمه إسحاق ولما سمعت السيدة سارة حديث الرسل اندهشت كيف تنجب وهى عجوز عقيم،

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ • فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ • وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ سورة هود 69، 70، 71، ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ سورة

الذاريات 29، ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ • قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ سورة هود 72، 73.

إلا أن الله لم يحقق أمنيتها وحسب وإنما جعلها أم الأنبياء وجعل أكثر الأنبياء في ذرية إبراهيم منها، وبعد أن كانت عجوزا عقيما يئست من الأمومة والإنجاب أصبحت أمًا للأنبياء، زوجة النبي إبراهيم وأم النبي إسحاق أبو النبي يعقوب الذى ينحدر من نسله أنبياء بنى إسرائيل.

❊ ❊ ❊

الحلقة الخامسة

(أعظم قصة حب بطلتها إحدى بنات رسول الله)

حب زينب بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لزوجها أبي العاص حتى وهو كافر.

ما أعظم الوفاء ، وما أجمل الحب حين يكون طاهرا وعفيفا وخالصا من القلب ، كما كان

ولدت زينب سنة ثلاثين من مولد النبي علية الصلاة والسلام وعندما بلغت سن الزواج طلبتها خالتها " هالة بنت خويلد " أخت أم المؤمنين خديجه لابنها " أبي العاص بن الربيع " وكانت الموافقة وكان الرضا من الجميع

وزُفت زينب بنت محمد علية الصلاة والسلام ومضت السيدة خديجة إلى العروسين المتحابين تبارك لهما وخلعت قلادتها لتجعلها في عنق زينب هدية العروس

وكان ذلك قبل أن ينزل الوحي على أبيها محمد علية الصلاة والسلام.. ولما أشرقت الأرض بنور ربها ، آمنت زينب فيمن آمن.. ولكن زوجها أبا العاص لم يكن من السهل علية أن يخلع دينه وأحس كلا الزوجين أن قوة أقوى من حبهما تحاول أن تفرق بينهما أما هو فقد أعلن التمرد والعصيان:

- " لن ينال مما بيننا يازينب أن تكوني على دينك وأثبت على ديني "

وأما هي فقالت : " قليلاً ياصاحبي ، لستُ حلاً لك ، وأنت على ذلك الدين ، فأسلمني إلى أبي أو أسلم معي.. لن تكون زينب لك بعد اليوم إلا أن تؤمن بما آمنت "

وتمر الأيام على هذا الوضع بعد هجرة النبي علية الصلاة والسلام إلى المدينة وتسير قريش إلى بدر لحرب الرسول علية الصلاة والسلام ويسير فيهم أبو العاص بن الربيع لا ليعلن إسلامه ولكن ليحارب الرسول عليه الصلاة والسلام في جيش المشركين

ويتأزم الموقف حين يقع أبو العاص أسيراً في يد المسلمين عند الرسول علية الصلاة والسلام بالمدينة وتبعث قريش في فداء أسراها وتبعث زينب مالاً وقلادة لتفتدي أسيرها أبا العاص بن الربيع . ويرى الرسول علية الصلاة والسلام القلادة فيرقّ لها رقة شديدة ويقول : " إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا " فقالوا : " نعم يارسول الله " فأطلقوه ، وردوا عليها قلادتها ومالها

وهنا يأخذ الرسول علية الصلاة والسلام وعداً من أبي العاص بأن يُخلي سبيل زينب ويُعيدها إليه بالمدينة . وعاد أبو العاص إلى مكة ، وفي نفسه صورة أكثر إشراقاً لهذه الزوجة الكريمة الوفية ، ولكنه عاد لا ليشكر لها صنيعها بل ليقول لها : " عودي إلى أبيكِ يازينب " وفاءً بما أخذ علية رسول الله من عهد بأن يدعها تسير إليه ، وخنقته العبرة فما استطاع أن يتمالك نفسه ، ولا أن يشيعها إلى أطراف البادية حيث كان في انتظارها خارج مكة زيد بن حارثة ورجل من الأنصار ! ومضى يقول لأخيه كنانة بن الربيع : " ياأخي إنك لتعلم موضعها من نفسي ، فما أحبّ أن لي امرأه من قريش غيرها ، وإنك لتعلم ألا طاقة لي بأن أفارقها ، فاصحبها عني إلى طرف البادية حيث ينتظر رسولا محمد ، وأرفق بها في السفر ، وارعها رعاية الحرمات ، ولو نثرت عليها كنانتك (أي لا تدخر جهداً حتى آخر سهم) لا يرنو منها رجل حتى تبلغ " أي حتى تصل المدينة

فلما فرغت من جهازها قدّم لها حموها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً وهي في هودج لها يقود بعيرها . ولكن هل تتركها قريش بعد هزيمتها في بدر تخرج على مرأى ومسمع من الناس ؟! لاثملا !! فلقد تحدث رجال من قريش بذلك فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوى ، فكان أول من سبق إليها "هبّار ابن الأسود بن المطلب " فروعّها بالرمح وهي في هودجها وكانت حاملاً فلما رجعت طرحت مافي بطنها

وهنا يتصدى حموها.. أخو زوجها " كنانة بن الربيع " لهؤلاء المعتدين

قائلا " والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهمًا " فانفض الناس عنه وأتاه أبوسفيان في جماعة من قريش فقال : " أيها الرجل ، كف عنا نبلك حتى نكلمك " فكف فأقبل أبو سفيان حتى اقترب منه وقال " إنك لم تصب ... خرجت بالمرأة على رؤوس الرجال علانية من بين أظهرنا ، إن ذلك عن ذل أصابنا في بدر ، لعمري مالنا حاجة في حبسها عن أبيها ، ومالنا في ذلك من ثؤرة ولكن أرجع المرأة "

ولما هدأ الصوت خرج بها ليلًا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله وافترق الزوجان ، فلا سبيل إلى لقاء ، فهي قد أصبحت في دار أبيها بالمدينة وأقام أبوالعاص بمكة شريداً مبلبل الفكر جريح الفؤاد

ومضت سنوات وسنوات ..... ويخرج أبوالعاص في تجارة له إلى الشام ، وفي طريق العودة تلقاه سرّية لرسول الله علية الصلاة والسلام فتصيب مامعه من أموال ولكنه يفلت من أيديهم ..... لقد فقد ماله ومال الناس ولا سبيل إلا أن يرد الأمانات إلى أهلها ، فماذا يفعل ؟؟

لقد تذكر زينب التي بادلته الحب والوفاء ، فدخل المدينة ليلاً وطلب منها أن تجيره وتعينه على رد ماله فأجارته ، وأصبح الناس يسعون إلى المسجد ، وكبر رسول الله علية الصلاة والسلام وكبّر المسلمون معه ، وإذا صوت يهتف من وراء جدار : " أيها الناس ، إني قد أجرت العاص بن الربيع فهو في حمايتي وأمني " وكانت زينب هي التي تهتف !!

وفرغ النبي علية الصلاة والسلام من صلاته فأقبل على الناس فقال

: " أيها الناس هل سمعتم ماسمعت ؟؟ إنه يجير على المسلمين أدناهم " ثم دخل على ابنته فحدثها وحدثته وأوصاها قائلًا : " أي بُنيه أكرمي مثواه... ولا يخلص إليكِ فإنكِ لا تحلين له مادام مشركاً " وأكبر النبي علية الصلاة والسلام أن يرى في ابنته هذا الوفاء لزوجها الذي فارقته لأمر لله وقطعت مابينه وبينها من شهوات النفس لأمر الله ...

ونال من نفس النبي الكريم ماسمع وماعلم فأضمر في نفسه رجاء إلى الله ، ثم بعث صلى الله علية وسلم إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال : " إن هذا الرجل منا حيث علمتم ، وقد أصبتم له مالًا ، فإن تحسنوا إليه وتردوا علية ماله ، فإنا نحب ذلك وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به " ..... قالوا : " بل نرده علية " . وقال نفرمنهم : " ياأبا العاص ، هل لك أن تُسلم ، وتأخذ هذه الأموال فإنها أموال المشركين

فقال : " بئس ماأبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي " فردوا إليه ماله كرامةً لرسول الله صلى الله علية وسلم وإكباراً لزينب وعاد أبو العاص إلى مكة بماله ومال الناس .... ونفسه تفيض بمشاعر شتى وبين عينيه صورة لا تفارقه ، فلما أدى لكل ذي مال ماله وقف ثم قال : " يامعشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندي مال ؟ قالوا : لا جزاك الله خيراً قد وجدناك وفياً كريماً . قال : " فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .... والله مامنعني من الإسلام عنده إلا تخوّفي أن يظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم ،

فلما أداها الله إليكم وفرغت منها ، أسلمت " ثم خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً وتلاقى الزوجان المتحابان مره ثانيه بعد فراق طويل

ولكن الزوجة الوفية كانت قد أدت واجبها وفرغت من دنياها حين هدت الرجل الذي أحبته ووفت له بمقدار ماأحبها ووفى لها فما مضى زمان بعد هذا اللقاء حتى كانت قد استوفت أنفاسها على الأرض

وتوفت زينب سنة ثمان للهجرة فحزن عليها رسول الله صلى الله علية وسلم حزنًا عظيمًا وفارقت الدنيا بعد أن خلفت أطيب الذكرى وضربت أبلغ المثل في وفاء الزوجة

❊ ❊ ❊

الحلقة السادسة

(الزهراء وزوجها سيدنا على كرم الله وجهه)

لم يكن الحب بعيدًا عن صحابة رسول الله، رضي الله عنهم، فنبيهم استشهد بحبه للسيدة عائشة وقال فيها «إني رزقت حبها»، فحافظ الصحابة على حب زوجاتهم، وكان من أكثر الحب هي القصة بين فاطمة الزهراء ابنة أفضل الخلق سيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وزوجها علي بن أبي طالب تقدم لخطبتها أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وفي كل مرة كان يرد الرسول: "إنني انتظر في أمرها الوحي". حتى جاء جبريل ليخطبها إلى علي بن أبي طالب

وإذا كان حكايات فاطمة مع علي لا تظهر فيها أمارات الحب الملتهب، إلا أنها تضرب أروع مثال في المودة والرحمة.. والاحترام. ومن أول يوم وطئت فيه فاطمة رضي الله عنها منزل زوجها، أحست أن عليها واجبا كبيرا إزاءه، فهي تعرف ظروفه الاقتصادية، و ما تتطلبه الحياة من أعباء و تكاليف، ولم يستطع زوجها أن يستأجر لها خادما تعينها على

العمل الشاق. فكان يحاول من جانبه أن يساعدها في بعض أعمال البيت ما مكنته ظروفه من ذلك.

كان حديثهما في منتهى الأدب والاحترام فإذا نادى علي فاطمة قال : يا بنت رسول الله، وإذا خاطبتْه قالت : يا أمير المؤمنين. وكان علي دائما يقبل يد زوجته البتول، و طالما كان لا يوليها ظهره إذا أراد مغادرتها.. بلإنه قال ذات مرة لشيعته، إن تروني مطاردًا مظلومًا فإني استمد القوّة والعزم والإرادة من بنت رسول الله. كما اعترف قائلا : والله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله. ولا أغضبتني ولا عصت لي أمرا لقد كنت انظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان . ومن جانبها هي، حاولت دائما أن تخفف من أعباء زوجها المادية و النفسية، حتى لقد سألها يوما على :يا فاطمة هل عندكِ شيء ؟ قالت : والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيّام شيء نقريك به . قال :أفلا أخبرتني؟ قالت : كان رسول الله نهاني أن أسالك شيئا فقال : لا تسألي ابن عمك شيئا إن جاءك بشيء وإلا فلا تسأليه.

ومع ذلك فلم تمر حياة الزوجين رخية هادئة، بل يروي التاريخ، أن رياح الخلاف أوشكت أن تطيح بأمن هذا البيت و سعادته. لماذا؟ هذا لأن فاطمة رضي الله عنها، كانت صغيرة الجسم، نحيلة العود، رقيقة الإحساس، و كان الإمام على رضي الله عنه، فيه شدة أقرب إلى أن تكون صرامة و خشونة أوشكت أن تكون غلظة، وهذه صفات لا تعيب الرجل و هو يضرب في بيداء الحياة. ولكن في البيت فالمرأة تحتاج إلى يد حانية،

تزيل التعب و تخفف الآلام، و خصوصا مع زوجة في مثل رقة فاطمة. و حدث مرة، أن ضاقت فاطمة الزهراء بما تجد من شدة زوجها و صلابته فقالت : و الله لأشكونك إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم، فانطلقت و انطلق على بأثرها، فقام حيث يسمع كلامها . فشكت إلى رسول الله غلظة على وشدته عليها، فقال : "يا بنية اسمعي واستمعي واعقلي" . فقال على : فكففت عما كنت اصنع وقلت : والله لا آتى شيئا تكرهينه أبدًا" .

ورغم هذا الوعد، أراد على بن أبي طالب الزواج من ثانية، وفي حسبانه أنه يجري على مألوف عادة قومه في الجمع بين زوجتين أو أكثر، وهو في نفس الوقت يفعل ما أباحه الإسلام من تعدد الزوجات، ولكن من تكون الزوجة الثانية التي فكر الإمام على رضي الله عنه في مشاركتها في بيت واحد مع بنت الرسول صلي الله عليه وسلم ؟ ابنة عدو الإسلام الأول.. أبي جهل

وصل الخبر إلى مسامع الزهراء رضي الله عنها، فانكسر قلبها، و تألمت نفسها وذهبت إلى أبيها وقالت: "يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل"، وما كادت فاطمة تنتهي من كلامها حتى دلف على رسول الله- صلي الله عليه و سلم- ، بنو هشام ابن المغيرة يستأذنون الرسول صلي الله عليه وسلم في تزويج ابنتهم من علي..

فانطلق صلي الله عليه وسلم إلى المسجد مغضبا حتى بلغ المنبر فخطب في جماعة المسلمين قائلاً: "إن بني هشام بن المغيرة يستأذنوني أن ينكحوا ابنتهم على بن أبي طالب، فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم. اللهم إلا أن يحب

ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي و ينكح ابنتهم. فإن ابنتي بضعة منى يريبني ما أرابها، و يؤذيني ما آذاها، وأنى أتخوف أن تفتن في دينها." وقال : "و إني لست أحرم حلالا و لا أحل حراما، ولكن و الله لاتجمع بنت رسول الله و بنت عدو الله بيت واحدا أبدا".

فترى ماذا كانت ردة فعل على بن أبي طالب ؟ صار حتى انتهى به المسرى إلى البيت، حيث يجد الزهراء في وحدتها تجتز أحزانها و تسامر همومها، فيدنو منها حتى يأخذ مكانه إلى جانبها صامتا، لا يدري ماذا يقول..و إذ رآها تبكي همس معتذرا: "هبيني أخطأت في حقك يا فاطمة، فمثلك أهل للعفو و المغفرة"، و مضت قطعة من الليل قبل أن تجيب غفر الله لك يا ابن العم، فلثم أطراف أناملها، وراح يروي لها ما كان من حديث المسجد و يصف لها مشاعره حين سمع ابن عمه يتحدث عن ضيقه بالأذى يلحق ابنته فاطمة.

و اغرورقت مقلتا "فاطمة" بالدموع تأثرا بحب أبيها و انفعالا بموقفه ثم قامت للصلاة. ومرت الأيام بالحبيبين هادئة ناعمة، و تخلصت فاطمة الزهراء مما كانت تعانيه، و تلاشت المسحة الحزينة التي كانت تملأ حياتها، و تجعل حياة البيت مهددة بالبوار و الانفصال، و أقبل الإمام على زوجته يسكب بين يديها كل صنوف المحبة و الوفاء ...

تُوفّيت فاطمة الزهراء –رضي الله عنها– بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بأشهرٍ قليلةٍ، وقد كانت أوّلَ أهل بيته لَحَاقاً به، وتُوفيت– رضيَ الله عنها– في شهر رمضان المبارك، في السنة الحادية عشرة من الهجرة،

وقبل وفاتها، حين شعرت بدنو أجلها، قامتْ فاغتسلت، وأخبرت صاحبتها أسماء بنت عميس: " يا أمة ائتني بثيابي الجدد فلبستها ... ثم قالت : قد اغتسلت فلا يكشفن لي أحد كفنًا ... ثم تبسمت "، ولم تبتسم فاطمة الزهراء منذ وفاة أبيها رسول الله إلا ساعة فارقت الحياة، فَرِحَةً مُستَبشِرةً بلقاء ربّها.

كان الفراق موجعا للإمام، فقد غلب الحزن والألم في فراق محبوبته، ولعل أهم ما كتبه كان عند قبرها، فقال:

ما لي وقفتُ على القبورِ مُسلِّمًا ... قبرَ الحبيب فلمْ يرُدّ جوابي
أحبيبُ ! ما لك لا تردُّ جوابنا ... أنسيتَ بعدي خُلَّةَ الأحباب

* * *

الحلقة السابعة

(قصه حب وفاء أم رومان لزوجها سيدنا أبي بكر الصديق)

قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين؛ فلينظر إلى أم رومان"؛ فهي صحابية مجاهدة، ذات قلب طاهر ونفس طيبة، وهي حماة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي أم زوجته التي أحبها كثيرًا، أم المؤمنين عائشة بنت أبو بكر الصديق.

إنها أم رومان بنت عمر بن عويمر، من المسلمات الأُوائل، تزوجت بعبد اللهَّ بن الحارث، وأنجبت منه الطفيل، وكان قد قدم بها إلى مكة، فحالف أبو بكر الصديق الحارث، ولما مات الحارث تزوجها أبو بكر الصديق؛ فأنجبت منه: عبد الرحمن وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.

وكان أبو بكر ـ رضي اللهَّ عنه ـ متزوجًا قبلها بامرأة رفضت أن تدخل الإسلام، وكان عنده من الولد عبد اللهَّ وأسماء رضي الله عنهما، فكانت

تُحسن معاملتهما وتحنو عليهما كحنوها على ولديها، فكانت لهما نعم الأم البديلة المسلمة.

أم العروس: بعد وفاة السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين الأولى رضي الله عنها وأرضاها، حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لموتها حزنا كبيرا، وظل عامين عازفا عن الزواج؛ حزنا على فراقها.

وأراد الله تعالى أن يُسري عن نبيه الكريم، ويُذهب حزن قلبه، ويأذن له في الزواج بامرأة أخرى تعوضه عن غياب الحبيبة التي لا تُنسى، فأراه الله تعالى في منامه صورة للسيدة عائشة على لفافة من حرير خضراء مع صوت يقول: «هذه زوجتك»، ولما تكررت هذه الرؤيا أكثر من مرة (ورؤيا الأنبياء صدق) علم أن الله تعالى قد اختار له عائشة زوجةً؛ على الرغم من أنها كانت مازالت صغيرة، ومنذ أن خطب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عائشة –رضي الله عنها– كان يوصي بها أمها ويقول لها متهللاً: يا أم رومان "احفظيني فيها".

ومن ذلك الحين وأم رومان تتشرف بقرابة المصاهرة من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكان لها عند رسول الله مكانة خاصة؛ لتُقَاها وإيمانها وشدة إخلاصها للإسلام.

كما أن «أم رومان» التي يقال إن اسمها الحقيقي زينب لكن غلبت عليها كنيتها، كانت زوجة لأبي بكر الصديق الصاحب الأمين لرسول الله؛ مما زاد من مكانتها عند النبي الكريم.

وكانت أم رومان نعم الزوجة الوفية المؤازرة لزوجها والمحفزة له على

الطاعة والبذل بالمال والجهد في سبيل الله، فكانت تشجعه على الإنفاق والتصدق وتحرير العبيد، حتى إن أبا بكر لما خرج مع رسول الله في رحلة الهجرة إلى المدينة أخذ كل ما لديه من مال وترك خلفه بناته وأولاده وزوجته أم رومان!

فصبرت أم رومان ولم تتذمر، ولم تشك بل دبرت أمر بيتها؛ حتى لحقت به مهاجرة إلى المدينة؛ لتبدأ حياة جديدة بجوار زوجها ونبيه الكريم. فكانت أم رومان نعم الزوجة التي انشرح قلبها إلى الإسلام منذ بداياته، فعُرف عنها حب التصدق، والبذل وشدة الكرم، والعطاء وحُسن التبعل لزوجها، والحرص على رضاه، وتلك الصفات ورثت منها السيدة عائشة –رضي الله عنها– ابنتها الكثير والكثير.

سبق أبو بكر الصديق زوجته أم رومان مهاجراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولحقت به زوجته صابرة محتسبة على فراق مكة، وعلى أذى المشركين، ومحاصرتهم المسلمين في كل مكان. كانت أم رومان أما حنونا، ووالدة عطوفا؛ ففي طريق الهجرة هاج بَعِيرُ السيدة عائشة، فصاحت أم رومان خائفة على ابنتها:

"وابنتاه، واعروساه" فسكن البعير، ووصلت القافلة إلى المدينة بسلام، وهناك أخبرت أم رومان ابنتها عائشة بأنها ستتزوج بالنبي صلى الله عليه وسلم، وعن قريب ستصبح عروسا.وكانت أم رومان تحب ابنتها عائشة حُبّا عظيمًا، وكانت تعدها لتصبح عروسا للمستقبل القريب الذي ينتظرها مع سيد الخلق أجمعين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعلنا نتعجب كيف كانت بنات العرب الصغيرات سناً يتزوجن حينها؟ إلا أننا إذا علمنا كيف كانت الأمهات يربين بناتهن وتغذيهن وتعلمهن فقه الزواج، وكيف تكون الحياة الزوجية لزال العجب. فقد كانت الفتاة تعد للزواج مبكرا، وتتعلم كيف تصبح مسؤولة عن بيت وأسرة وهي في سن صغيرة.

وبعد نصر الله المسلمين على المشركين في غزوة بدر الكبرى في شوال عام 2 هجرية، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله عنها، وكانت أم رومان –رضي الله عنها– قد هيأت عائشة؛ لتكون زوجة في بيت النبوة وأوصتها وعلمتها كيف تكون الزوجة لزوجها جميلة محبة مطيعة.

وفي حديث الإفك الذي تكلم فيه بعض المشركين عن سيدتنا الطاهرة أم المؤمنين عائشة، وسمعت به أم رومان أُغْمِي عليها؛ حُزْنًا على ما أصاب ابنتها، ولما أفاقت أخذت تدعو اللهَّ أن يظهر الحق، وأخفت الأمر عن ابنتها خوفا عليها من الحزن، إلا أن السيدة عائشة علمته مصادفة، فظلت الأم تواسي ابنتها ودموعها تتساقط، وجعلت تقول:

«أي بنية، هوِّني عليك، فواللهَّ لَقَلَّ ما كانت امرأة حسناء عند زوج يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن وكثر عليها الناس»، ولّما انكشفت غمامة الإفك، ونزل قرآن كريم يشهد ببراءة وعفة السيدة عائشة رضي الله عنها، انشرح صدر أم رومان، وحمدت اللهَّ على براءة ابنتها، وتكريم الله لها، وكانت طوال هذه الحادثة نعم الحماة العاقلة التي لم تتفوه بما يُغْضب الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– الذي كان زوجًا لابنتها؛ فكانت نعم الحماة التي تحب زوج ابنتها، وتصون اسمه، وتحرص على محبته.

وعاشت أم رومان رضي الله عنها قانتة عابدة لله، تصلى الصلاة، كما أشار بها رسول الله، وكما علمها أبو بكر الصديق زوجها، فقد قالت:

رآني أبو بكر الصديق أميل في الصلاة، فزجرني زجرة كدت أنصرف من صلاتي، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا قام أحدكم في الصلاة فليسكن أطرافه، ولا يميل ميل اليهود؛ فإن تسكين الأطراف من تمام الصلاة»، ومن يومها وأم رومان تصلي كما أمر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

وظلت أم رومان على عبادتها وتقواها، يزيدها العمر إيماناً على إيمانها وتقوى على تقواها، وكانت شديدة المحبة والاتباع لله ورسوله، ولما كانت السنة السادسة من الهجرة توفيت «أم رومان»، وصعدت روحها الطاهرة إلى بارئها، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم قبرها، واستغفر لها اللهَّ وأثنى عليها وقال:

«من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»، ولم ينزل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قبر أحد إلا خمسة قبور: ثلاث نسوة ورجلين، منها قبر السيدة خديجة –رضي الله عنها– بمكة، وأربعة بالمدينة:

قبر ابن خديجة رضى الله عنها، وقبر عبد الله المزني المسمى «ذو البجادين»، وقبر أم رومان حماته، وقبر فاطمة بنت أسد زوجة عمه، ومن ربته رضي الله عنهم أجمعين

❋ ❋ ❋

الحلقة الثامنة

الحب بين أم كلثوم بنت الزهراء
و سيدنا على و زوجها عمر بن الخطاب

هي أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، شقيقة الحسن والحسين، ولدت في حدود سنة ستٍ من الهجرة، رأت النبي صلى الله عليه وسلم جدها، ولم ترو عنه شيئاً، تزوَّجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك سنة سبع عشرة، وكان سبب زواج عمر منها قول النبي صلى الله عليه وسلم:

((كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي))

أي سبب زواج هذا الخليفة الراشد هذا الحديث، مع أن فارق السن بينهما كبير، ألح هذا الخليفة الراشد أن يتزوَّج هذه الفتاة التي هي من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قصة هذا الزواج هي كما يلي: إن عمر بن الخطاب خطب إلى عليٍ ابنته أم كلثوم، فذكر له صغرها، فقيل لعمرٍ:

((إن ردَّك فعاوده، -أي بإلحاح- ثم خطبها إلى أبيها علي بن أبي طالب فقال: إنها صغيرة، فقال عمر: زوِّجْنيها يا أبا الحسن، فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد، هي عندي مكرمةٌ أشد التكريم، فقال له علي: أنا أبعثها إليك، فإن رضيتها فقد زوَّجْتكها، فبعثها إليه ببردٍ، فقال لها: قولي له: هذا البرد الذي قلت لك، فقالت ذلك لعمر، فقال عمر: قولي له قد رضيت، رضي الله عنه))

فقصة هذا الزواج قصة اكتساب الشرف، اكتساب السبب، سبب الاتصال بالله عز وجل لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((كل سببٍ ونسبٍ منقطعٌ يوم القيامة إلا سببي ونسبي))

((جلس عمر إلى المهاجرين في الروضة، وكان يجلس المهاجرون الأولون في روضة مسجد رسول الله، فقال: رفؤني، فقالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أم كلثوم بنت علي، لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((كل سببٍ ونسبٍ وصهرٍ ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري))

وكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب والسبب، فأردت أن أجمع إليه الصهر، فرفؤني ، قالوا: تزوجها على مهر أربعين ألفاً، فولدت له زيد بن عمر الأكبر ورقية))

في هذا الخبر كما قال العلماء أحكام عدة، مِن هذه الأحكام: أن يصح زواج الكبير بالصغيرة شرعاً، وأن ذلك حصل بمشهد جمعٍ غفير من

كبار المهاجرين، وعلى مسمع الأنصار أيضًا، وأنهم قد أقروه على ذلك، وهذا إجماعٌ منهم على جوازه، وأنه يندب تعدد الزوجات لزيادة الشرف، تعدد الزوجات من هؤلاء الصحابيات الكاملات المتصلات بالنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يزاد في مهر الصغيرة أضعاف مهر الكبيرة، وأنه يندب إعلام الأصحاب لذلك للدعاء والتبريك،

حظيت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب منزلةً عاليةً مرموقة، فلو كان هناك تناقضٌ كبير كما يتوهم الآخرون بين سيدنا علي وسيدنا عمر، لما أمكن أن يتم هذا الزواج، هذا استنباطٌ مهمٌ جداً، بل إن سيدنا علياً كرم الله وجهه سمى أولاده بأسماء الصحابة الكرام؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان .

فسيدنا علي سمى أولاده بأسماء الصحابة الكبار، وهؤلاء الصحابة الكبار تشرفوا بالزواج من بنات سيدنا علي، فبينهما من الود، والاحترام، والحب، والولاء، والبيعة مالا ينكر .

فقد حظيت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب منزلةً عاليةً مرموقة، فكان ينظر إليها بعين الإجلال والإكرام، فعاشت عنده حياةً طيبةً مباركة، فقد كان يسعى لإسعادها بما يحقق طموح فتوَّتها، وتفتُّح شبابها، وهو البصير بقضايا النساء، فكان رضي الله عنه يرقب نفسه وما يراه واجباً للمرأة على زوجها .

ولقد أُثر عنه وهو خليفة المسلمين بحكمته البالغة دقة معالجته لقضايا الفتيات المتزوجات اللواتي يشتكين من أمورٍ تخصُّ حياتهن الزوجية،

فمن ذلك أنه كان يقول لأولياء أمور النساء:

((لا تنكحوا المرأة الرجل الذميم القبيح، فإنهن يحببن لأنفسهم ما تحبون لأنفسكم))

إليكم مضمون هذه الذكريات التي تسترجعنا بها أم كلثوم :

ومما أخبرتنا به أم كلثوم أن قالت:

((كانت لا تنسى ليلةً، طاف فيها، يتفقَّد رعيته، فإذا هو بامرأة في جوف دارها، وحولها صبيان يبكون، وإذا قدر على النار ملأته ماءً، فدنى عمر من الباب، فقال: يا أم، ما هذا؟ لمَ يبكى أولادكِ؟ قالت: بكاؤهم من الجوع، قال: فما هذه القدر التي عليها النار؟ قالت: قد جعلت فيها ماءً أعللهم بها حتى يناموا، -أوهمهم أن فيها شيئاً من دقيق وسمن- فجلس عمر يبكي، ثم جاء إلى دار الصدقة، فأخذ حملاً أو وعاءً، وجعل فيه شيئاً من دقيقٍ، وسمنٍ، وشحمٍ، وتمرٍ، وثيابٍ، ودراهم، ثم قال: يا أسلم، احمل هذا علي، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا أحمله عنك، فقال: لا أنا أحمله، لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة .

-ألم يقل مرةً:

((والله لو تعثرت بغلةٌ في العراق، لحاسبني الله عنها، لمَ لمْ تصلح لها الطريق يا عمر؟))

فحمله حتى أتى به منزل المرأة، وأخذ القدر، فجعل فيها شيئًا من دقيق، وشيئًا من شحم وتمر، وجعل يحركه، وينفخ تحت القدر، حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده، ويطعم الصغار، حتى شبعوا، ثم ربط

بجانبهم، فلم يزل حتى لعبوا وضحكوا، ثم قال: يا أسلم، أتدري لمَ ربطت بحذائهم؟ أي جلست إلى جانبهم، قلت: لا يا أمير المؤمنين، فكرهت أن أذهب، وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي)).

من مواقف عمر بن الخطاب :

أم كلثوم زوجة عمر، كما تروي الكتب، تهادت مع ملكة الروم بالهدايا، فكان ذلك مشاركةً منها لزوجها خليفة المسلمين، حين كان يتراسل مع ملك الروم هرقل، في توطيد العلاقات الخارجية بين المسلمين والروم، قال الإمام الطبري:

((ترك ملك الروم الغزو، وكاتب عمر وقاربه، وسأله عن كلمةٍ يجتمع فيها العلم كله، فكتب إليه: أحب للناس ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لها، تجتمع لك الحكمة كلها، واعتبر الناس بما يليك، تجتمع لك المعرفة كلها .

وكتب إليه ملك الروم، وبعث إليه بقارورة، أن املأ لي هذه القارورة من كل شيء، فملأها عمر ماءً، وكتب إليه: إن هذا كل شيء))

من الدليل:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

بعثت أم كلثوم إلى ملكة الروم بطيبٍ وأحفاشٍ من أحفاش النساء، وأرسلته مع البريد، فلما وصل، جاءت امرأة هرقل، وجمعت نساءها، وقالت:

((هذه هدية امرأة ملك العرب، وبنت نبيهم، ثم كاتبتها، وكافأتها،

فأهدت إليها، وكانت فيما أهدت إليها عقدٌ فاخر، فلما انتهى به البريد إلى عمر، أمر بإمساكه، ودعا الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى بهم ركعتين، وقال: إنه لا خير في أمرٍ أُبرم عن غير شورى من أموري، قولوا في هديةٍ أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فأهدت لها امرأة الروم .

فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة الملك بذمةٍ فتصانع به، ولا تحت يدك فتتقيك .

وقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب لنستثيب، ونبعث بها لتبتاع، ولنصيب ثمناً .

فقال عمر: ولكن الرسول، -أي مراسل البريد- رسول المسلمين، والبريد بريدهم، والمسلمون عظَّموها في صدورهم، -أي لأم كلثوم- فأمر بردها لبيت المال، ورد عليها بقدر نفقتها.

-أي أن هذه الهدية التي جاءت أم كلثوم من امرأة ملك الروم ردتها لبيت مال المسلمين، أخذ الأحوط رضي الله عنه، وهذا هو الورع- فسرَّت أم كلثوم لصنيع عمر))

الذي لم يرضَ أن تسخَّر سلطة الخلافة لأمورٍ شخصية، ما دام البريد بريد المسلمين، والإرسال من قِبَل المسلمين، فلا بدَّ من أن ترد هذه الهدية لبيت مال المسلمين .

ولأم كلثوم مواقف تشير إلى أنها أفصح نساء قريش وأبينهن كلاماً وأخطبهن إذا ما ألم حدث أو نزلت نازلة وكانت تفحم خصومها بالحجة والبرهان كأنما الفصاحة انقادت لها انقياد الطفل لأمه وذللت لها قطوف

البيان حتى كأنها تتكلم وتختار ما تشاء من الكلام دون تكلف أو عناء ومثال ذلك خطبتها الشهيرة في أهل الكوفة لما قتل أخوها الحسين بن علي رضي الله عنهما .

رحم الله أم كلثوم ورضي الله عنها وستظل أم كلثوم قدوة للنساء الفاضلات مدى الأيام والأعوام

❊ ❊ ❊

الحلقة التاسعة

قصة حب سيدتنا رقيه صاحبه الهجرتين بنت رسول الله وبين زوجها عثمان بن عفان

ولدت رقيِّة بنت رسول الله، وأمها خديجة أم المؤمنين، ونشأت قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد استمدت رقيِّة رضي الله عنها كثيراً من شمائل أمها، وتمثلتها قولاً وفعلاً في حياتها من أول يوم تنفس فِيه صبح الإسلام، إلى أن كانت رحلتها الأخيرة إلى الله عز وجل. وسيرة حياة السيدة رقيِّة رضي الله عنها، تستوفي كل الكنوز الغنية بمكارم الفضائل ونفحات الإيمان، وهذه الكنوز التي تغني المرء عن الدراهم والدنانير، بل أموال الدنيا كلها، فسيرة السيدة رقيِّة تجعل النفوس تحلق في أجواء طيبة، لا يستطيع أصحاب الأموال والدنيا الوصول إليها، ولو صرفوا الدنيا وما فيها، لأن من يتذوق طعم حياة الأبرار، يترفع عن الحياة التي لا تعرف إلا الدرهم والدينار.

لم يمض على زواج زينب الكبرى غير وقت قصير، إلا وطرق باب خديجة ومحمد، وفد من آل عبد المطلب، جاء يخطب رقيّة وأختها التي تصغرها قليلاً لشابين من أبناء الأعمام وهما (عُتبة وعُتيبة) ولدا أبي لهب عم الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأحست رقيّة وأختها انقباضاً لدى أمهما خديجة، فالأم تعرف من تكون أم الخاطبين زوجة أبي لهب، ولعل كل بيوت مكة تعرف من هي أم جميل بنت حرب ذات القلب القاسي والطبع الشرس واللسان الحاد. ولقد أشفقت الأم على ابنتيها من معاشرة أم جميل، لكنها خشيت اللسان السليط الذي سينطلق متحدثاً بما شاء من حقد وافتراء إن لم تتم الموافقة على الخطوبة والزواج، ولم تشأ خديجة أيضاً أن تعكر على زوجها طمأنينته وهدوءه بمخاوفها من زوجة أبي لهب وتمت الموافقة، وبارك محمد ابنتيه، وأعقب ذلك فرحة العرس والزفاف وانتقلت العروسان في حراسة الله إلى بيت آخر وجو جديد.

ودخلت رقيّة مع أختها أم كلثوم بيت العم، ولكن لم يكن مكوثهما هناك طويلاً فما كاد رسولنا محمد يتلقى رسالة ربه، ويدعو إلى الدين الجديد، وراح سيدنا رسول الله، يدعو إلى الإسلام سراً، فاستجاب لله عز وجل من شاء من الرجال ومن النساء والولدان. ويبدو أن عمات رسول الله قد نصحنه ألا يدعو عمه أبا لهب لكيلا تثور هائجته، فلا يدري بما يتكلم، وحتى لا تنفث زوجته أم جميل سمومها في بنات النبي فقد كان أبو لهب وأولاده ألعوبة تتحكم فيهم أم جميل التي تنهش الغيرة قلبها

إذا ما أصاب غيرها خير. وقد قام رسول الله بدعوة الناس إلى الإسلام وعندما علم أبو لهب بذلك أخذ يضحك ويسخر من رسول الله ثم رجع إلى البيت، وراح يروي لامرأته الحاقدة ما كان من أمر محمد ابن أخيه الذي أخبرهم أنه رسول الله إليهم؛ ليخرجهم من الظُلمات إلى النور وصراط العزيز الحميد، وشاركت أم جميل زوجها في سخريته وهزئه.

ولعب شيطان الحقد في نفسها، وأحست برغبة عنيفة في داخلها للانتقام من أقرب الناس إليها من رقيّة وأم كلثوم رضي الله عنهما، وإن كان هذا الانتقام سيؤذي ولديها، ولكنها مادامت ستفرغ كل حقد ممكن لديها، وتقيء كل عصارة كيدها في جوانب نفسها، فلا مانع من ذلك حتى تحطم بزعمها الدعوة المحمدية، وسلكت ضد سيدنا رسول الله أبشع السبل في اضطهاده، وزادت على ذلك أن أرسلت إلى أصهار رسول الله تطلب منهم مفارقة بنات الرسول، أما أبو العاص فرفض طلبهم مؤثرا ومفضلاً صاحبته زينب على نساء قريش جميعاً، وقد آمن في نهاية المطاف وجمع الله شمل الأحبة. وأما عُتبة وعُتيبة فلقد تكفلت أم جميل بالأمر دون أن تحتاج لطلب من أحد.

وكانت رقيّة وأم كلثوم في كنف ابني عمهما، لما نزلت سورة المسد، وذاعت في الدنيا بأسرها، ومشي بعض الناس بها إلى أبي لهب وأم جميل، اربدَّ وجه كل واحد منهما، واستبد بها الغضب والحنق، ثم أرسلا ولديهما عُتبة وعُتيبة وقالا لهما: إنَّ محمداً قد سبهما، ثم التف أبو لهب إلى ولده عتبة وقال في غضب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد؛ فطلقها

قبل أن يدخل بها. وأما عُتيبة، فقد استسلم لثورة الغضب وقال في ثورة واضطراب: لآتين محمداً فلأوذينَّه في ربه. وانطلق عتيبة بن أبي لهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشتمه ورد عليه ابنته وطلقها، فقال رسول الله "اللهم سلط عليه كلباً من كلابك" واستجيبت دعوة الرسول فأكل الأسد عُتيبة في إحدى أسفاره إلى الشام.

شاءت قدرة الله لرقيّة أن ترزق بعد صبرها زوجاً صالحاً كريماً من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ذلك هو (عثمان بن عفان) صاحب النسب العريق، والطلعة البهية، والمال الموفور، والخلق الكريم. وعثمان بن عفان أحد فتيان قريش مالاً، وجمالاً، وعزاً، ومنعةً، تصافح سمعه همسات دافئة تدعو إلى عبادة العليم الخبير الله رب العالمين. والذي أعزه الله في الإسلام سبقاً وبذلاً وتضحيةً، وأكرمه بما يقدم عليه من شرف المصاهرة، وما كان الرسول الكريم ليبخل على صحابي مثل عثمان بمصاهرته، وسرعان ما استشار ابنته، ففهم منها الموافقة عن حب وكرامة، وتم لعثمان نقل عروسه إلى بيته، وهو يعلم أن قريشاً لن تشاركه فرحته، وسوف تغضب عليه أشد الغضب. ولكن الإيمان يفديه عثمان بالقلب ويسأل ربه القبول.

ودخلت رقيّة بيت الزوج العزيز، وهي تدرك أنها ستشاركه دعوته وصبره، وأن سبلاً صعبة سوف تسلكها معه دون شك إلى أن يتم النصر لأبيها وأتباعه. وسعدت رقيّة رضي الله عنها بهذا الزواج من التقي النقي عثمان بن عفان رضي الله عنه، وولدت رقيّة غلاماً من عثمان فسماه عبد الله، واكتنى به..

ودارت الأيام لكي تختبر صدق المؤمنين، وتشهد أن أتباع محمد قد تحملوا الكثير من أذى المشركين، كان المؤمنون وفي مقدمتهم رقيّة وعثمان رضي الله عنهم في كرب عظيم، فكفار قريش ينزلون بهم صنوف العذاب، وألوان البلاء والنقمة،)وما نقموا بهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد((البروج:8).ولم يكن رسول الله بقادر على إنقاذ المسلمين مما يلاقونه من البلاء المبين، وجاءه عثمان وابنته رقيّة يشكوان مما يقاسيان من فجرة الكافرين، ويقرران أنهما قد ضاقا باضطهاد قريش وأذاهم.

وجاء نفر آخرون ممن آمن من المسلمين، وشكوا إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ما يجدون من أذى قريش، ومن أذى أبي جهل زعيم الفجار. ثم أشار النبي عليهم بأن يخرجوا إلى الحبشة، إذ يحكمها ملك رفيق لا يظلم عنده أحد، ومن ثم يجعل الله للمسلمين فرجًا مما هم عليه الآن.

وأخذت رقيّة وعثمان رضي الله عنهما يعدان ما يلزم للهجرة، وترك الوطن الأم مكة أم القرى. ويكون عثمان ورقيّة أول من هاجر على قرب عهدهما بالزواج، ونظرت رقيّة مع زوجها نظرة وداع على البلد الحبيب. وتمالكت دمعها قليلاً، ثم صعب ذلك عليها، فبكت وهي تعانق أباها وأمها وأخواتها الثلاث زينب وأم كلثوم والصغيرة فاطمة، ثم سارت راحلتها مع تسعة من المهاجرين، مفارقة الأهل والأحباب، وعثمان هو أول من هاجر بأهله، ثم توافدت بعد ذلك بعض العزاء والمواساة، لكنها ظلت أبداً تنزع إلى مكة وتحن إلى من تركتهم بها، وظل سمعها مرهفاً

يتلهف إلى أنباء أبيها الرسول وصحبة الكرام. ولقد أثرت شدة الشوق والحنين على صحتها، فأسقطت جنينها الأول، وخيف عليها من فرط الضعف والإعياء، ولعل مما خفف عنها الأزمة الحرجة رعاية زوجها وحبة وعطف المهاجرين وعنايتهم.

وانطلق المهاجرون نحو الحبشة تتقدمهم رقيّة وعثمان، حتى دخلوا على النجاشي، فأكرم وفادتهم، وأحسن مثواهم، فكانوا في خير جوار،لا يؤذيهم أحد ويقيمون شعائر دينهم في أمن وأمان وسلام. وكانت رقيّة رضي الله عنها في شوق واشتياق إلى أبيها رسول الله وأمها خديجة، ولكن المسافة بعيدة، وإن كانت الأرواح لتلتقي في الأحلام.

وجاء من أقصى مكة رجل من أصحاب رسول الله، فاجتمع به المسلمون في الحبشة، وأصاخوا إليه أسماعهم حيث راح يقص عليهم خبراً أثلج صدورهم، خبر إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب، وكيف أن الله عز وجل قد أعز بهما الإسلام. واستبشر المهاجرون بإسلام حمزة وعمر، فخرجوا راجعين، وقلوبهم تخفق بالأمل والرجاء، وخصوصاً سيدة نساء المهاجرين رقيّة بنت رسول الله التي تعلق فؤادها وأفئدة المؤمنين بنبي الله محمد

وصلت إلى الحبشة شائعات كاذبة، تتحدث عن إيمان قريش بمحمد، فلم يقو بعض المهاجرين على مغالبة الحنين المستثار، وسَرعان ما ساروا في ركب متجهين نحو مكة، ويتقدمهم عثمان ورقيّة، ولكن يا للخيبة المريرة، فما أن بلغوا مشارف مكة، حتى أحاطت بهم صيحات الوعيد والهلاك.

وطرقت رقيّة باب أبيها تحت جنح الظلام، فسمعت أقدام فاطمة وأم كلثوم، وما إن فتح الباب حتى تعانق الأحبة، وانهمرت دموع اللقاء. وأقبل محمد نحو ابنته يحنو عليها ويسعفها لتثوب إلى السكينة والصبر، فالأم خديجة قد قاست مع رسول الله وآل هاشم كثيراً من الاضطهاد مع أنها لم تهاجر، وقد ألقاها المرض طريحة الفراش، لتودع الدنيا وابنتها ما تزال غائبة في الحبشة.

وعندما علمت قريش برجوع المؤمنين المهاجرين، عملت على إيذائهم أكثر من قبل، واشتدت عداوتهم على جميع المؤمنين، مما جعل أصحاب رسول الله في قلق، ولكنهم اعتصموا بكتاب الله، مما زاد ضراوة المشركين وزاد من عذابهم. وراح الفجرة الكفرة، يشددون على المسلمين في العذاب، وفي السخرية حتى ضاقت عليهم مكة، وقاسى عثمان بن عفان من ظلم أقربائه وذويه الكثير. ولكن عثمان صبر وصبرت معه رقيّة مما جعل قريش، تضاعف وجبات العذاب للمؤمنين، فذهبوا إلى رسول الله يستأذنونه في الهجرة إلى الحبشة فأذن لهم، فقال عثمان بن عفان :

يا رسول الله، فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشي، ولست معنا. فقال رسول الله :

" أنتم مهاجرون إلى الله وإلي، لكم هاتان الهجرتين جميعاً". فقال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.

وهاجرت رقيّة ثانية مع زوجها إلى الحبشة مع المؤمنين الذين بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً. وبهذا تنفرد رقيّة ابنة رسول الله بأنها الوحيدة من

بناته الطاهرات التي تكتب لها الهجرة إلى بلاد الحبشة، ومن ثم عُدت من أصحاب الهجرتين. قال الإمام الذهبي {رحمه الله} عن هجرة رقيّة وعثمان رضي الله عنهما :" هاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين جميعاً. وفيهما قال رسول الله : "إنهما أول من هاجرا إلى الله بعد لوط".

ولم يطل المقام برقيّة في مكة، ففي العام الثالث عشر للبعثة، كان أكثر المؤمنين من أهل البيت الحرام قد وصلوا إلى المدينة المنورة، ينتظرون نبيهم محمداً ليأتي إليهم وإلى إخوتهم الأنصار مهاجرًا مجاهدًا. وهناك في المدينة جلست رقيّة مع زوجها عثمان، ووضعت مولودها الجميل عبد الله... وراحت تملأ عينها من النظر إليه، لكي تنسى مرارة فقدها لجنينها، ولوعة مصابها في أمها، وما قاسته في هجرتها وهي بطلة الهجرتين من شجن الغربة. ويبدأ صراع جديد بين الحق والباطل، وترى رقيّة بوادر النصر لأبيها، فالله عز وجل قد أذن له وللمؤمنين أن يقاتلوا المشركين، ليدعموا بنيان المجتمع الإسلامي الجديد الذي بنوه بأيديهم في يثرب.

وينمو عبد الله ابن المجاهدين العظيمين نموًا طيبًا، ولكن شدة العناية قد توقع في ما يحذره الإنسان أحيانًا، فما بال عبد الله يميل نحو الهبوط، وتذبل ريحانته بعد أن كان وردة يفوح عطرها، ويزكو أريجها يا لله... وأخذ الزوجان يرقبان بعيون دامعة، وقلب حزين سكرات الموت يغالبها الصغير بصعوبة تقطع الفؤاد. ومات ابن رقيّة، بعد أن بلغ ست سنين ومات بعد أن نقر الديك وجهه(عينه)، فتورم وطمر وجهه ومرض ثم مات، وبكته أمه وأبوه، وافتقد جده بموته ذلك الحمل الوديع الذي كان يحمله بين يديه كلما زار بيت ابنته، ولم تلد رقيّة بعد ذلك.

ولم يكن لرقيّة سوى الصبر وحسن التجمل به، ولكن كثرة ما أصابها في حياتها من مصائب عند أم جميل، وفي الحبشة، كان لها الأثر في أن يمتد إليها يد المرض والضعف، ولقد آن لجسمها أن يستريح على فراش أعده لها زوجها عثمان، وجلس بقربها الزوج الكريم يمرضها ويرعاها، ويرى في وجهها علامات مرض شديد وألم قاس تعانيه، وراح عثمان يرنو بعينين حزينتين إلى وجه رقيّة الذابل، فيغص حلقه آلاما، وترتسم الدموع في عينيه، وكثيرًا ما أشاح بوجهه لكي يمسك دمعة تريد أن تنهمر، ولقد كانت رقيّة تحس هذا الشيء، فتتجلد وتبذل ما أمكنها، لكي تبتسم له ابتسامة تصطنعها حتى تعود إليه إشراقة وجهه النضير... وتنهال على رأسه الذكريات البعيدة، ورأى رقيّة وهي في الحبشة تحدث المهاجرات حديثاً يدخل البهجة إلى النفوس، ويبعث الآمال الكريمة في الصدور، وتقص عليهن ما كانت تراه من مكارم أبيها رسو ل الله وحركت هذه الذكريات أشجان عثمان، وزادت في مخاوفه، وكان أخشى ما يخشاه أن تموت رقيّة، فينقطع نسبه لرسول الله

ورنا عثمان ثانية إلى وجه زوجته الذابل، ففرت سكينته، ولفه حزن شديد ممزوج بخوف واضطراب، حيث كانت الأنفاس المضطربة التي تلتقطها رقيّة جهدها، تدل على فناء صاحبتها. كانت رقيّة تغالب المرض، ولكنها لم تستطع أن تقاومه طويلاً، فأخذت تجود بأنفاسها، وهي تتلهف لرؤية أبيها الذي خرج إلى بدر، وتتلهف لرؤية أختها زينب في مكة، وجعل عثمان يرنو إليها من خلال دموعه، والحزن يعتصر قلبه، مما كان أوجع لفؤاده أن يخطر على ذهنه، أن صلته الوثيقة برسول الله توشك أن

تنقطع. وكان مرض رقيّة رضي الله عنها الحصبة، ثم بعد صراعها مع هذا المرض، لحقت رقيّة بالرفيق الأعلى، وكانت أول من لحق بأم المؤمنين خديجة من بناتها، لكن رقيّة توفيت بالمدينة، وخديجة توفيت بمكة قبل بضع سنين، ولم ترها رقيّة، وتوفيت رقيّة، ولم تر أباها رسول الله، حيث كان ببدر مع أصحابه الكرام، يعلون كلمة الله، فلم يشهد دفنها صلى الله عليه وسلم.

وحُمِل جثمان رقيّة رضي الله عنها على الأعناق، وقد سار زوجها خلفه، وهو واله حزين، حتى إذا بلغت الجنازة البقيع، دفنت رقيّة هنالك، وقد انهمرت دموع المشيعين. وسوى التراب على قبر رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عاد المجاهدون من بدر يبشرون المؤمنين بهزيمة المشركين، وأسر أبطالهم. وفي المدنية المنورة خرج رسول الله إلى البقيع، ووقف على قبر ابنته يدعو لها بالغفران. لقد ماتت رقيّة ذات الهجرتين قبل أن تسعد روحها الطاهرة بالبشرى العظيمة بنصر الله، ولكنها سعدت بلقاء الله في داره.

ولما توفيت رقيّة بكت النساء عليها، في رواية ابن سعد: قال: لما ماتت رقيّة بنت رسول الله، قال: " ألحقي بسلفنا عثمان بن مظعون" فبكت النساء عليها، فجعل عمر يضربهن بسوطه. فأخذ النبي بيده، وقال: " دعهن يبكين"، ثم قال: " ابكين، وإياكن ونعيق الشيطان؛ فإنه مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان"، فقعدت فاطمة على شفير القبر إلى جنب رسول الله صلى الله

عليه وسلم فجعلت تبكي، فجعل رسول الله يمسح الدمع عن عينها بطرف ثوبه.

رحم الله رقيّة بطلة الهجرتين، وصلاة وسلاماً على والدها في العالمين ورحم معها أمها وأخواتها وابنها وشهداء بدر الأبطال، وسلام عليها وعلى المجاهدين الذين بذلوا ما تسع لهم أنفسهم به من نصره لدين الله ودفاع عن كلمة الحق والتوحيد إلى يوم الدين، و السعي إلى إعلاء كلمة الله.

❊ ❊ ❊

الحلقة العاشرة

قصه حب حفيدة لخليفة وابنة لخليفة وأختاً لأربعة خلفاء، ثم زوجة لخليفة..

تلك هي فاطمة بنت عبد الملك بن مروان.. وزوجها خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز

هى وليدة قصر الخضراء بيت الخلافة الأموي.. سيدة منذ نعومة أظفارها.. حملت بين آثارها خطوات ثابتة لامرأة عربية أصيلة توجت عقلها بعظمة الإسلام وأخلاق العرب المثلى.. فشبت يافعة طلقة المحيا دمثة الخلق رصينة بجمالها القرشي.. فهفت نحوها قلوب الأمراء الأمويين كل يطرق بابها خاطباً وراغباً.. لكن والدها عبد الملك تاقت نفسه لأفضلهم عقلاً وأكثرهم عزاً وأنبلهم خلقاً ابن أخيه عمر بن عبد العزيز.. ولم يتردد خليفة المسلمين في أن يعرض عليه الأمر قائلاً له : قد زوجك أمير المؤمنين ببنته فاطمة.. فرد عليه عمر : وصلك الله يا أمير المؤمنين فقد أجزيت وكفيت.. لتدخل فاطمة مروج التاريخ من أبهى

بساتينه كشجرة باسقة طيبة الريح وعظيمة الأثر.. فعاشت مع زوجها عيشة الرغد والحب المعطاء.. تجمع السكينة والألفة بين نفسيهما لتصنع من زواجهما نموذجاً جميلاً في التضحية لأجل الهدف النبيل.. فاجتمع لها ما لم يجتمع لنساء الأرض قاطبة من العظمة والسؤدد والجاه والزواج السعيد.

ثم توجت أقدار السماء نعيمها على سيدة بني أمية حين توفي أخوها سليمان بن عبد الملك تاركاً الأمر من بعده لعمر بن عبد العزيز.. لتصبح حفيدة لخليفة وابنة لخليفة وأختًا لأربعة خلفاء ، ثم زوجة لخليفة.. غير أن هذا الأمر العظيم لم يكن لعمر بن عبدا لعزيز طمع فيه.. فقد وصلت إليه الخلافة مختالة تجر أذيالها وهو غير راغب بها ولا آبه لتيجانها.. بل تلقفها بوجل كبير وهم تخر له الجبال.. ناظراً إلى عرشها بقدر التكليف لا التعظيم.. ليعود أدراجه إلى منزله بعد سماعه النبأ وقد عرج على الجامع الأموي معتليًا منبره يخاطب الناس بصوت متحشر.. يتوسل إليهم أن يعفوه من هم الخلافة فيزداد الناس به تمسكًا وله إكبارًا.. فيغادرهم على ظهر دابته رافضاً مواكب الخلافة المحلاة بأثمن الجواهر وأعظم الخيول.. تلك المواكب التي اعتاد خلفاء بني أمية ركوبها بعد اعتلائهم سدة الحكم..

ليصل إلى بيته وقد لبسه الهم والحزن.. لا يقوى على تحمل المصاب.. في وقت كانت فاطمة سعيدة بما حباها القدر من حظوة حين صارت زوجة لخليفة المسلمين فتخرج لاستقباله فرحة متزينة كعادة النساء ،

بأنفس اللآلئ والحلي.. وقد علت وجنتيها أمارات السعادة والابتهاج.. لتفاجأ به مهموماً يذرف الدموع ولا يقوى لسانه على وصف الحال.. فتهدئ من روعه وتسأله عما أصابه وهو اليوم خليفة للمسلمين والآمر المطاع.. فيجيبها وقد أجهش في البكاء : يا فاطمة لقد أصبت كرباً ففكرت بالفقير الجائع والمسكين الضعيف والمظلوم المقهور فعلمت أن الله عز وجل سائلي عنهم يوم القيامة.. لتخبو بهذه الكلمات شمعة الفرح التي اشتعلت في قلبها وتستيقظ على الواقع الجديد الذي فرضته أعباء الخلافة على زوجها الحبيب.. فتعي الدرس العمري الجديد لترجع بخطاها إلى عهد خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام حين نظروا إلى الحكم مكلفين لا محبين.. فتعلم أنها الآن لا تقف أمام ابن عمها الأمير الأموي المدلل.. بل تقف أمام حفيد عمر بن الخطاب الذي فرق الحق عن الباطل.. وأنها منذ هذه اللحظة مقبلة على حياة ربما لن ترتضيها الكثير من النساء حين تطغى الدنيا بزخرفها الفاني على نعيم الآخرة الباقي عند ضعيفات النفوس..

لكن عمر لم يترك لها المجال لكثرة التساؤلات فقد بادرها مخاطباً بما يرتضيه لنفسه من رد الضيع والهبات التي وصلته وهو أمير إلى بيت مال المسلمين.. فلم يبق مما تحت يده إلا ما كان من حر ماله.. ولم يكن ذاك سوى بيتاً متواضعاً بسيطاً.. ويعلم عمر بن عبد العزيز بأن ابنة عمه سليلة الأمجاد وليدة القصور لن تقدر على ما اختاره لنفسه من زهد الطلب وضنك الحياة ومشقة التكليف.

فيخيرها في أمرها بين عيشة البساطة كما أراد أو يسرحها إلى بيت أبيها لتعيش كما اعتادت عليه من النعيم.. وهنا يكمن الفرق بين النساء حين تشتري المرأة عظمه القرار بكل ما في الدنيا من متاع.

فتأبى فاطمة بنت عبد الملك إلا الرضا بما اختاره زوجها الحبيب تقاسمه الدنيا بكل ما فيها من حلوها ومرها لتتوج حبها في الجنة حين تصبح أجمل الحوريات وأحبهن إلى قلب زوجها..ولم يكتف الخليفة الزاهد بذلك.. بل ينظر إلى بريق الجواهر في معصمها وقدها كأنه جمار من نار جهنم فيردها إلى بيت مال المسلمين وفاطمة راضية بذلك.. لا تحولها الأيام عن قرارها.. فحينما توفي عمر بن عبد العزيز وآلت الخلافة الأموية إلى أخيها يزيد بن عبد الملك أعاد إليها يزيد جواهرها قائلاً : هذه جواهرك التي وهبها عمر لبيت المال قد ردت لك.. فتجيبه وقد تملكها الحزن على وفاة عمر : والله لا أطيعه حياً وأعصيه ميتاً ...

وجاء التحول السريع لحياة فاطمة من سيدة آمرة ناهية إلى امرأة بسيطة تغسل ثوب زوجها الأوحد الذي لا يملك سواه.. وتعجن العجين وتطهو الطعام بلا خدم ولا حشم.. راضية النفس مطمئنة البال باختيار لم يغير حياتها فحسب بل غير نظام الحكم الأموي ، بزمن وجيز لم يتجاوز العامين وبضعة أشهر ، وشعر به أهل الأرض قاطبة.. فقد هدأت له النفوس وعم الخير أرجاء البلاد من أقاصي الشرق عند نهر سيحون إلى أقاصي الغرب في المغرب والأندلس.. حتى أن عامل الخليفة على الصدقات ليطوف بالصدقة فلا يجد من يقبلها فلله درك يا حفيد الفاروق !!

حين جاءت الأعرابية تريد لقاء الخليفة فدلها الناس على بيته البسيط.. فطرقته لتفتح لها الباب امرأة امتلأت يداها بالعجين ، فسألتها الأعرابية عن الخليفة عمر بن عبد العزيز، فطلبت منها المرأة أن تنتظر للحظات ريثما يأتي الخليفة.. وإذا بجانب حائط البيت رجل يصلح الجدار ، وقد علقت بقع الطين بيديه وثوبه.. فنظرت الأعرابية إليه مستغربة من جلوس هذه المرأة التي تعجن العجين أمام هذا الطيان الغريب لم تتستر منه.. فبادرتها بالسؤال عن هذا الطيان ؟ وكيف تجلس أمامه دون أن تستر نفسها ؟ فتجيبها ضاحكة : إنه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وأنا زوجته فاطمة..!!

تلك هي سيدة بني أمية التي حفرت في أعماق التاريخ بصمات واضحة لحسن الاختيار.. فكانت نبراساً يهتدي بها نساء المسلمين إلى قمة العظماء..

رحم الله فاطمة بنت عبد الملك وزوجها حفيد عمر بن الخطاب عمر بن عبد العزيز

*****

الحلقة الحادية عشر

قصه حب و غيرة الزبير بن العوام
على ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر

هي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ، التي لقبت بذات النطاقين ، أبوها هو عبد الله بن أبي قحافة الملقب بأبي بكر الصحابي الجليل والخليفة الأول للمسلمين ، وأمها هي قتيلة بنت عبد العزي ، وأختها السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين ، لذلك كانت السيدة أسماء لصيقة ببيت النبوة فما هي قصة ذات النطاقين .

ولدت السيدة أسماء رضي الله عنها ، قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام بأربعة عشر عامًا أي عام 27 قبل الهجرة الشريفة ، وكان في تلك الفترة عادة وأد البنات منتشرة بمكة ، إلا أن أباها أبا بكر رضي الله عنه فرح بها على غير عادة العرب ، نشأت أسماء قوية وذكية وتعلمت من أبيها الرحمة والرفق بالضعفاء .

وحينما دخل أبو بكر إلى الإسلام عاد إلى بيته فرحًا ففتحت له أسماء، وحين رآها قال لها السلام عليكم ولم تكن هذه التحية معروفة لدى العرب ، فسألت أسماء ماذا تقول يا أبتاه ، فقال لها : هذه تحية الإسلام يا أسماء ، سألت أسماء من علمك إياها يا أبتاه ، فأجاب أبو بكر : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقد أرسله الله ، فقالت أسماء : محمد بن عبد الله صاحبك الصادق الأمين وبمَ أرسله الله.

قال أبوبكر: أرسله الله ليعلم الناس أنه سبحانه وتعالى هوالخالق وحده للكون،وأنه هوالمخصوص بالعبادة وأن يتركواعبادة الأصنام،وأن يصدقوا رسوله في كل ما يدعوإليه، فقالت أسماء : ياأبتي إنني أسلمت وآمنت بكل ماجاء به محمد بن عبد الله من عند الله، فقال أبوبكر : قولي يا أسماءأشهد أن لاإله إلاالله وأن محمدًا رسول الله، فقالت : أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

وهكذا دخلت أسماء في الإسلام ، لكنها لم تكن قابلت النبي وذات يوم أتى النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر ، فلما فتحت أسماء الباب ووجدت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أمامها ، فرحت وبايعته على الطاعة فدعا لها النبي أن يثبتها الله .

لما وصلت أسماء لسن الزواج وكانت مشهورة بقوة إيمانها ، تقدم الصحابي الجليل الزبير بن العوام لخطبتها وقد كان الزبير خامس خمسة أسلموا لله رب العالمين ومن العشرة المبشرين بالجنة ، وكان في الخامسة عشرة من عمره ، فوافق أبو بكر ووافقت أسماء ، لما علمت عنه من التقوى وحسن الإيمان .

وتزوجت أسماء الزبير في مكة وقد كان فقيرًا فلم يكن في بيته إلا فراش خشن ووسادة من ليف وقربة من الجلد للشرب والاغتسال ولكنها كانت سعيدة وراضية ، وكانت تحب الزبير حبًا وشديدًا و قالت: تزوجني الزبير رضي الله عنه وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤونته وأسوسه، وأدقُّ النوى لناضجح وأعلفه، وأسقيه الماء، وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز جارات لي من الأنصار؛ وكن نسوة صِدْق، وكان يغار عليها ،

ومن شدة غَيْرة الزبير بن العوام على زوجته أسماء

أخرج ابن سعد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي على ثلثي فرسخ، قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ومعه نفر من أصحابه، فدعاني ثم قال: «إِخْإِخْ» ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغَيرته ــ قالت: وكان من أَغْيَرَ الناس ــ، قالت: فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غَيْرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني. وعنه أيضًا عن عكرمة أن أسماء

بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديدًا عليها، فأتت أباها فشكت ذلك إليه، فقال: يا بنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوَّج بعده جمع بينهما في الجنة.

وفي يوم تركها زوجها وسافر في تجارة إلى الشام ، فذهبت إلى بيت أبيها وذات يوم طرق الباب ، وإذا بالنبي يأتي أبا بكر ليخبره أن الله قد أمره بالهجرة ، وفي يوم الهجرة جهزت أسماء للنبي ولأبيها ما يحتاجانه في رحلة الهجرة ، وبالفعل بدأ النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر رحلة الهجرة حتى وصلا لغار ثور واختبئا فيه .

لما علم أبو جهل بخروج النبي صلى الله عليه غضب ، وذهب إلى دار أبي بكر ففتحت له أسماء ولما لم يجد أباها ثارت ثائرته ولطمها على وجهها لطمه شقت أذنها ، فسقط القرط منها وتخضب وجهها بالدماء .

وبقى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثة أيام ، فكانت أسماء تذهب بصحبة أخيها عبد الله ، لتوصل الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت في ذلك الوقت حاملًا ، ومع ذلك لم تتأخر عن مساعدة النبي ، وكانت تبحث عن شيء تضع فيه الطعام ، فلم تجد غير حزامها وكان يدعى نطاق فشقته لتضع فيه الطعام ، فلما علم الرسول عليه الصلاة والسلام قال لها (أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقا في الجنة) ، لذلك لقبت بذات النطاقين .

وبعث الرسول إلى أهله وإلى آل أبي بكر ليلحقوا بهم إلى المدينة المنورة، وأسرع الزبير فسبقهم إلى المدينة ولما تأخرت أسماء قلق الزبير ،

حتى جاءته البشارة أن أسماء توقفت في قباء لتضع مولودها ، وبهذا يكون ابنها عبد الله بن الزبير أول مولود للمهاجرين .

روت أسماء رضي الله عنها عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، اتفق الإمامان البخاري ومسلم على صحة 13 حديث ، ولكن مجمل الأحاديث المسندة لها هي الراوي الأعلى لنحو ثمانية وخمسين حديثًا، وانفرد الإمام مسلم رضي الله عنه بأربعة أحاديث ، وانفرد الإمام البخاري رضي الله عنه بخمسة أحاديث ، وحدَّث عنها كبار التابعين والصحابة .

وقد كانت أسماء رضي الله عنها نعم الأم المسلمة وقد أنجبت خمسة رجال هم عبد الله وعاصم ، ومنذر ، وثلاث بنات هم خديجة وعائشة وأم الحسن.

ويذكر للسيدة أسماء مقولتها الخالدة لابنها عبد الله بن الزبير حين دخل على أمه ، وقد كانت فقدت بصرها فأخبرها أنه يخشى أن يمثل الحجاج بجثته بعد قتله فقالت له يا ولدي ، لا يضر الشاه سلخها بعد ذبحها .

ولما قتل الحجاج ابنها عبد الله بن الزبير وكانت عجوز ، علق الجثة في مدخل المدينة ، ومرت عليها ذات يوم وقالت أما آن لهذا الراكب ، فأنزله الحجاج لها لكي تدفنه ، ثم لحقت أسماء رضي الله عنها بالشهيد عبد الله بن الزبير للقاء ربها ، وهي صابرة راضية محتسبة ومطمئنة لقضاء الله عام 73 هجرية عن عمر يناهز المائة عام ، يقول كتاب السير بأنها آخر المهاجرات موتًا

❊ ❊ ❊

الحلقة الثانية عشر

قصه أعظم مهر فيالإسلام
وقصه حب أم سليم لزوجها أبي طلحه

هي الرميصاء بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية الخزرجية.. رضي الله عنها.

لعل كثيرا منكم لم يسمع بهذا الاسم قبل الساعة، ولكن ربما تعرفونها إذا قلت لكم إنها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي كان حسنة واحدة من حسناتها الكثيرة.

كانت أم سليم مؤمنة داعية واعية، ومجاهدة صادقة وزوجة مخلصة ومربية فذة رؤوم، ما زالت ترتقي سلم المجد حتى بلغت منتهاه، وتعلو معالي الفخار حتى بشرها النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة.

قلت لكم إنها كانت مؤمنة صادقة.. نعم فقد كان زوجها مالك بن النضر غائبا لما أسلمت فلما رجع ورأى حالها قال: أصبوت؟ قالت: لا

ولكني أسلمت.. وكانت تلاعب ولدها أنسا الصغير الرضيع وتقول: أسلم يا أنيس.. قل لا إله إلا الله.. فقال لها زوجها: لا تفسدي علي ولدي.. فقالت: أنا لا أفسده. حاول أن يردها عن إسلامها، فأبت عليه..فلما يئس منها ضاق ذرعا فترك البيت إلى الشام فقتل هناك.

قصد الخُطَّاب بيت أم سليم، فقد كانت عاقلة لبيبة مرغوبا فيها، وكان من بين الخطاب أبو طلحة (زيد بن خالد الأنصاري)، رجل من رجالات الأنصار المعروفين، ذو نجدة ومروءة وكرم وشجاعة وقد اجتمع فيه من الصفات ما يجعله بعيدا عن أن يرد.. فلما تقدم لخطبتها قدم لها مهرًا كبيرًا لكنها رفضت وقالت: أنت مشرك وأنا مسلمة ولا ينبغي أن أتزوج مشركا. وأخبرته أنه لا يصلح لها أن تتزوج به..

ولكنها أرادت أن تزيل غشاوة الشرك من قلبه فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض شجرة نجرها حبشي بني فلان؟ قال نعم. قالت أما تستحي أن تعبد إلها أخذت نصفه تعبده وأخذ بنو فلان نصفه فأججوا به نارهم؟.. فكأنها حركت فيه شيئا كان غائبا، وعقلا كان قد رضي بما كان عليه الآباء والأجداد..

حاول مرة أخرى أن يغريها بالمال فقال إنما كان مالك كافرا، وإنما يمنعك عني الصفراء والبيضاء (يعني الذهب والفضة) فقالت: أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذاك مهري، لا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها أبو طلحة. فكان أعظم مهر في الإسلام.

كانت أم سليم مربية فذة سخرت كل قدراتها لتحسن تربية أبنائها وتخرج رجالا يصلحون لعبادة الرحمن ولخدمة الإسلام فكان لها ما أرادت..

فابنها الأول هو الصحابي الجليل أنس بن مالك.. ومن منا لا يعرف.. إنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أخذته حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وذهبت به إليه وكان ابن عشر سنين.. فقالت: يارسول الله هذا أنس خادم يخدمك.. فخدمه عشر سنين إلى أن مات عليه الصلاة والسلام فنال شرف القرب ورشف من معين الأدب وتشرب بمكارم الأخلاق. ونال دعوة من المختار حين طلبت أمه من الكريم عليه السلام أن يدعو لابنها فما ترك شيئا من خير الآخرة والأولى إلا دعا له به.. فرضي الله عنه وعن أمه.

وأما ابنها الثاني: فهو البراء بن مالك.. ما زالت تربيه على الإيمان والرجولة حتى بلغ الغاية فيهما.. فكان مؤمنا تقيا خفيا حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: [كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك](رواه الترمذي وصححه الألباني).

وفي الرجولة والجهاد كان أسدا هصورا ومقاتلا مغوارا مقتحما للمهالك لا يخشى في الله لومة لائم حتى كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش: "لا تستعملوا البراء على جيش؛ فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم"... قتل وحده مائة فارس مبارزة غير الذين قتلهم في المعارك..

وإذا أردت أن تعرف قدره وشجاعته وإقدامه فاقرأ قصة حديقة الموت في حروب الردة عندما قاتلوا مسيلمة الكذاب، واقرأ بعد ذلك فتح تستر العظيم وكان من أيام فتوح فارس.. وفيها طلب منه المسلمون أن يدعو الله لهم بالفتح فدعا الله أن يفتح عليهم وأن يقبله في الشهداء فاستجاب الله دعوته ففتح للمسلمين ومات البراء شهيدا حميدا.

وأما ابنها الثالث: فلا أظن أحدا من المسلمين لا يعرف حديث يا أبا عمير ما صنع النغير فقد كان أبو عمير ابنا لأم سليم وأخا لأنس والبراء.

وأما الابن الرابع: فكانت له قصة سأرويها لكم بعد أن أقول إنها كانت مجاهدة صابرة.

لم يكف أم سليم أن تؤدي دورها في نشر دعوة الإسلام، بل حرصت على أن تشارك في الجهاد.. يقول أنس- رضي الله عنه-: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى). وفي صحيح مسلم وطبقات ابن سعد بسند صحيح: "أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر. فقالت: يا رسول الله إن دنا مني مشرك بقرت به بطنه".

سأروي لكم الآن قصة الابن الرابع لأم سليم لنتعلم منها كيف تكون المرأة زوجة صالحة مؤمنة محتسبة، ترضى بقضاء الله وترعى مشاعر زوجها وتخاف على إيمانه..

بدأت قصة عبد الله الابن الرابع لأم سليم وأبي طلحة عندما مرض طفل صغير لأبي طلحة فخرج للصلاة أو لغيرها ومات الصغير وأبوه خارج البيت...

تعالوا نسمع إلى أنس ابنها يروي القصة يقول: ثَقُلَ ابْنٌ لأُمِّ سُلَيْم، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى المَسْجِدِ، فَتُوُفِّيَ الغُلاَمُ، فَهَيَّأَتْ أُمُّ سُلَيْم أَمْرَهُ، وَقَالَتْ: لاَ تُخْبِرُوْهُ. فَرَجَعَ، وَقَدْ سَيَّرَتْ لَهُ عَشَاءهُ، فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ.. أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِ أَبِي فُلاَنٍ اسْتَعَارُوا عَارِيَّةً، فَمَنَعُوْهَا، وَطُلِبَتْ مِنْهُم، فَشَقَّ عَلَيْهِم؟ فَقَالَ: مَا أَنْصَفُوا. قَالَتْ: فَإِنَّ ابْنَكَ كَانَ عَارِيَّةً مِنَ الله، فَقَبَضَهُ. فَاسْتَرْجَعَ، وَحَمِدَ اللهَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُوْلِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمَّا رَآهُ، قَالَ: (بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا). فَحَمَلَتْ بِعَبْدِ الله بنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَوَلَدَتْ لَيْلاً، فَأَرْسَلَتْ بِهِ مَعِي، وَأَخَذْتُ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ، فَانْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ: يَا رَسُوْلَ الله! وَلَدَتْ أُمُّ سُلَيْم اللَّيْلَةَ. فَمَضَغَ بَعْضَ التَّمَرَاتِ بِرِيْقِهِ، فَأَوْجَرَهُ إِيَّاهُ، فَتَلَمَّظَ الصَّبِيُّ، فَقَالَ: (حِبُّ الأَنْصَارِ التَّمْرُ). فَقُلْتُ: سَمِّهِ يَا رَسُوْلَ الله. قَالَ: (هُوَ عَبْدُ الله).

قَالَ عَبَايَةُ أحد رواة الحديث: فَلَقَدْ رَأَيْتُ لِذَلِكَ الغُلاَمِ سَبْعَةَ بَنِيْنَ، كُلُّهُمْ قَدْ خَتَمَ القُرْآنَ.

هذا هو عبد الله الابن الرابع لأم سليم فهل رأيتم تربية أعظم من هذه؟! وهل رأيتم زوجة تصنع مثل أم سليم؟!

تلك هي الرميصاء بنت ملحان أم سليم، عاشت حياتها تناصر

الإسلام، وتشارك المسلمين في أعمالهم، وما زالت ترتقي ذرا المجد حتى نالت أعلاها حين بشرها النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة بقوله: [دخلت الجنة فسمعت خشفة، فقلت من هذا؟ قالوا: هذه الرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك) (رواه مسلم).

ماتت الرميصاء ودفنت في المدينة رضي الله عنها

❊ ❊ ❊

الحلقة الثالثة عشر

قصة حب أسطورية بين الملكة ممتاز وزوجها الإمبراطور شاه جيهان وقصة تاج محل الهندي

ثلاثة قرون ونصف القرن مرت على بنائه ، تاج محل.. قصة حب أسطورية خالدة عبر الزمن إنها حياة امرأة ضربت أروع الأمثلة على الوفاء والإخلاص فتفتحت لها أبواب التاريخ الواسعة وأصبحت سيرتها على كل لسان وصار ضريحها إحدى عجائب الدنيا السبع

هي المرأة الهندية المسلمة التي رفعت من شأن نساء العالم في ذلك الوقت وأثبتت أن العقل والعاطفة والعمل خطوط متساوية لا تناقض فيها على الإطلاق.

ورغم مرور اكثر من 350 عاما على بناء تاج محل إلاإنه لا يزال شعاع البدر الهادئ والمتهادي بني بمشاعر الحب البيضاء ونوافير العاطفة الجياشة والأحجار الطيعة اللينة التي تحمل في طياتها ما تحمل من جماليات ومنمنمات في غاية الروعة،

وتعود جذور قصة بناء تاج محل إلى زواج شاه جيهان ـ الذي كان يعرف وقتها باسم الأمير حزام وصار فيما بعد الإمبراطور المغولي الخامس، واسمه شهاب الدين ـ من تاج محل واسمها الحقيقي هو ارجمند نانو بيجام بنت آصف خان رئيس التشريفات في القصر الملكي التابع للملك جيهانكير سلطان المغول المسلمين في منقطة أجرا عاصمة الهند في ذلك الوقت، ووالدها آصف خان كان شقيقاً لنور جيهان زوجة السلطان.

وعلى الرغم من أن هذا الزواج كان الثاني لشاه إلاإنه كان نابعا من قصة حب حقيقية وتجربة عاطفية سامية. وكانت ممتاز رفيقة دائمة لزوجها لا تتركه في كل رحلاته وسفرياته وجولاته وزياراته ومهماته العسكرية بل ومستشارته وصديقته وكانت الدافع القوي لقيامه بالكثير من أعمال الخير والبر وخصوصا مع الضعفاء والفقراء والمحتاجين. وأنجبت ممتاز من شاه أربعة عشر ولدا

فقد وهب الله سبحانه وتعالى ممتاز محل جمالا متميزا غير عادي يجذب الكبار والشباب على السواء مما كان دافعا قويا لنظرات الآخرين بل والأقربين من داخل القصر حيث فتن بجمالها الأمير برويز الابن الأصغر للسلطان جيهانكير. عاش الزوجان شاه جيهان وممتاز طوال 19 عاما وكانت سيرتهما على كل لسان من المحبين والعشاق حتى كان يضرب بهما المثل إلا إنه وفي عام 1930 قام الإمبراطور شاه جيهان بحشد قواته بكل ما لدية من إمكانيات عسكرية وبشرية وبدأ حملة عسكرية ضد ابنه والوريث لمملكته وحكمه في منطقة ديكان، وقد شاء القدرأن يمنحه

النصر على التمرد والسيطرة عليه إلا إنه وحينما رجع إلى مقره في أجرا علم بمغادرة زوجته لهذا العالم ووفاتها خلال ولادتها لابنه ذي الترتيب الرابع عشر بين أنجاله.

ومن تلك اللحظة ولشدة تأثره وحبه لها ووفائها لذلك كله، ورغم اعتراض أولاده قرر أن يقيم لها ضريحا متميزا لا يضارعه آخر على وجه الأرض ويساوي في الجمال والروعة والصفاء جمال حبيبته وزوجته فكان الرخام كله من اللون الأبيض دليل الحب الصافي والإخلاص في المشاعر، وفعلا كان له ذلك ببناء صرح تاج محل وذلك على الضفة المقابلة لقصره على نهر (يامونا) ليتمكن من العيش على ذكراها صباح مساء.

وكان حب شاه لزوجته هو السبب في إبداع (تاج محل) وكان للظروف الحزينة التي أعقبت موت الإمبراطورةأعمق الوقع وأبلغ الأثر في إلهام الإمبراطور لتشييد هذا القصر الكبير الذي أقامه في أجرا عاصمة حكم المغول. ولم يكن غريبا بناء تاريخ تاج محل في مدينة أجرا عاصمة الإمبراطور المغولي خلال القرن السادس عشر وأوائل القرن الثامن عشر

وكان بناء تاج محل مشروط بتنفيذ أربعة أشياء طلبتها ممتاز من زوجها بعد موتها وتعكس جميعها مدى الحب وعمق الشعور التي كانت تكنه له، وتتمثل في:

- أن يبني تاج محل،
- أن يتزوج بعدها،
- أن يحسن معاملة أبنائه،

- أن يقوم بزيارة الضريح في الذكرى السنوية لوفاتها.

ولكن في الواقع لم يستطع الإمبراطور شاه الوفاء إلا بالوعدين الأول والثاني.

وتقول الروايات التي انطلقت على حياة الإمبراطور شاه جيهان إنه كان يعتزم بناء قصر مواجه لتاج محل ليكون ضريحا له شخصيا عند وفاته ومقابلا لضريح زوجته ولكن مع وجود فارق بينهما وهو أن الأول ضريح تاج محل من الرخام الأبيض أما ضريحه هو فسيكون باللون الأسود بحيث يربط بينهما جسر كبير. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ولم يتحقق هذا الحلم حيث قام أحد أبنائه بالحجر عليه واعتقاله بعدما قاد انقلاباً ضده وسيطر على العرش الملكي وبالتالي قام بسجن والده في قصرة المقابل لضريح تاج محل

وعندما اعتقل لمدة ثماني سنوات توفي في آخرها في القلعة الحمراء الكبيرة التي تقع قبالة تاج محل كان ينظر يوميا إلى هذا الصرح الخالد ولا يتحسر على زوال عرشه وخلعه من الحكم بقدر ما كان يبكي وفاة زوجته الغالية التي لم تستطع امرأة غيرها أن تمنحه الحب الذي منحته إياه ولم يستطع أي شيء في العالم أن يعوضه الحنان الذي افتقده بعد وفاتها واستمر في حزنه حتى توفي إلا إنه وبدوافع إنسانية اقترح بعض أعوان الإمبراطور الجديد دفنه بجوار زوجته.

ولا زال قصر تاج محل شاهدا على الزمن ليرسم صورة حقيقية لأروع قصة حب لا يزال يعيش عليها معظم الشعب الهندي هناك

❊ ❊ ❊

الحلقة الرابعة عشر

قصة حب وحياء صافوريا
لسيدنا موسي عليه السلام

هي صافورية أو صفوريا ويسميها الأوروبيون صفورا وتعنى «العصفورة».. هي ابنة النبي شعيب حسبما يقول أنس بن مالك.. بينما يقول آخرون- ومن بينهم ابن كثير- إن والدها كان شيخًا من شيوخ القبائل، وشعيب هو النبي الذى بعث لأصحاب الأيكة وهم قوم مدين الذين كانوا يعبدون شجرة ملفوفة. وحكاية لقاء موسى عليه السلام بصافورية ذكرها القرآن الكريم.

هي زوجته الخلوق الحيية التي أعجبت بشهامته وشجاعته ولم يصرفها عن الإعجاب به بساطة حاله ولا هيئته المتواضعة التي قابلها عليها فقد كانت فتاة مؤمنة واعية تعلم أن المظاهر ليس من ورائها طائل، وأن جوهر الإنسان هو الأهم من مظهره وقد أكد العلماء أن اسم هذه الفتاة التي تزوجت موسى فيما بعد «صفورا».

وقصة زواج موسى عليه السلام من زوجته هي قصة الفراسة والحياء، فلقد جاء النص القرآني ووصف لنا طريقة السير التي كانت تمشى بها هذه الفتاة طريقة يملأها الحياء ودالة على حُسن الخُلق الذي كانت تتمتع به هذه الفتاه المهذبة التي جزاها الله بحسن خلقها خير الجزاء بأن زوجها من نبيه وكليمه موسى عليه السلام.

فعندما اطمأن موسى بأنه خرج من حدود مصر حتى وصل إلى بلدة أخرى تسمى «مدين» تقع بالقرب من فلسطين جلس يستظل تحت ظل شجرة بعد أيام من الفرارالمتواصل بلا ماء ولا طعام.وبتدبير محض من الله عز وجل ، وباختياره سبحانه وتعالى التقى موسى في طريق هروبه من مصر بفتاتين خجولتين تمسكان بأغنام لهما وتنتظران دورهما في طابور طويل لسقاية هذه الأغنام، وتحاولان أن تمنعاها أن تفلت منهما بصعوبة شديدة وهما في ذلك تبذلان جهدا كبيرا لا قبل لهما به فهذه مهمة الرجال لا النساء وعندما وقع نظر موسى عليهما أثار ذلك دهشته ولم يستطع رغم شدة تعبه وإعيائه أن يترك الفتاتين هكذا فغلبت شهامة موسى على تعبه وتوجه في أدب بالغ إلى الفتاتين فسألهما عن سبب وقوفهما هكذا

وكانت على البئر الذى يتجمع الناس حوله للسقاية صخرة كبيرة لا يقوى على زحزحتها إلا عشرة من الرجال فرفعها موسى وحده؛ فسقى للفتاتين وسقى الأغنام وأمسك بزمامها ومشى بها حتى أوصلها إلى بيت الفتاتين ثم جلس تحت ظل شجرة وناجى ربه قائلا: «رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير».

فسمعته إحدى الفتاتين التي رثت لحال ذلك الفتى الشهم، وأرادت أن تساعده كما ساعدهما؛ فذهبت لتحكي لأبيها ما حدث فكانت سمة الفتاة الصراحة مع أبيها وسمة الأب مع ابنته الثقة ويُقال إن هذا الأب كان رجلاً صالحًا.

وقالت الفتاة لأبيها: «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين»

فقال الأب الصالح لابنته :

أما القوى فقد عرفناها، فمن أين لك بمعرفة صفة «الأمين» عند هذا الفتى يا ابنتي؟

فأجابت الفتاة الأمينة الصريحة الأب الحنون :«عندما أمسك الفتى بزمام الأغنام ياأبتى؛ كان يمشى وراءنا وكنا نسبقه، فلما أتت رياح خشى أن يتتبعنا ببصره فطلب منا أن يتقدمنا وأن نرمى إليه بالأحجار حتى ندله على الطريق، فأعجب الأب بأمانة ذلك الفتى وأدبه، وأمر ابنته أن تناديه.

وأُعجب موسى بحياء الفتاة وبحسن تربية أبيها لها ولكنه كتم إعجابه في صدره حتى روى قصته للأب الصالح الذى تأكد من خُلق موسى وعلم أنه من خيرة الرجال فعرض عليه الزواج من إحدى ابنتيه ولم يتردد فقد كان أبًا بصيرًا عالمًا بمعادن الرجال وكان أبًا ذكيًا لم يجعل الفرصة تفوته ويضيع من أمامه رجل بخلق وأمانة وقوة الفتى موسى.

أما موسى فقد اختار الفتاة التي جاءته تمشى بحياء وأدب فكافأها الله على حُسن خُلقها وحيائها وزوجها الفتى موسى الذى سيصبح كليم الله.

وفرحت أختها لها فرحاً كبيراً، وكان الأب الحكيم يعلم أن موسى الفتى ليس لديه من المال مايستطيع أن يتزوج به فجعل مهر ابنته أن يعمل موسى في مزرعته ثماني أو عشر سنوات وخيَره فاختار موسى أن يتم العشر سنوات.

وتزوج موسى الفتى الذى سيصبح نبياً فيما بعد؛ وكانت عروس الحياء التي زُفت إلى كليم الله وكما يقول ربنا سبحانه وتعالى «الطيبون للطيبات». وأكملت زوجة موسى صافوريا رحلتها مع) نبى الله (موسى عليه السلام الذى أوحى الله إليه ومنَّ عليه بأن أسمعه صوته وناجاه فكانت نعم الفتاة المؤمنة الحيية التي رزقها الله تعالى بالزوج الصالح والتي جاء ذكرها في القرآن مرة أخرى ولكن بصيغة الزوجة فيقول تعالى: «فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارًا قال لأهله امكثوا إني آنست نارًا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون»

وهنا قال موسى لزوجته أقيمي في هذا المكان، فإني بصرت نارا ، لعلي آتيكم بشعلة من النار تستدفئون بها، أو أجد هاديا يدلني على الطريق !!

وقد قال ابن عباس رضى الله عنه في شرح هذه الآيات: كان موسى قد أخطأ الطريق وكان مرتحلا هو وزوجته في رحلة طويلة من مدين متجها إلى مصر بعد زواج دام عشر سنوات قضاها موسى في مساعدة والد زوجته ذلك الرجل الصالح الذي جعل مهر ابنته مساعدته ثماني أو عشر سنوات فاختار موسى أكملها.

ولما حان وقت عودته إلى مسقط رأسه «مصر» كانت ليلة باردة في الشتاء فجعل موسى يقدم الزناد ليقدح النار فلا يخرج منها شرر ، فبينما هو كذلك أبصر أضواء من بعيد على يسار الطريق، ظنها نارا فبشر زوجته بذلك فلما أتى النار وجدها بيضاء تتوقد في شجرة خضراء، كأضوأ مايكون من النور، نورا يغلب الأنوار ، فوقف متعجبا من شدة ضوئها، ومن شدة خضرة الشجرة، فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها فبينما هو في تأمله وتعجبه، سمع نداء ارتعش له قلبه سمع نداء الله جل جلاله، وهنا بدأ موسى يُكلف برسالة ربه وبإيصالها إلى فرعون وقومه، وبدأت زوجته معه رحلة جديدة تسانده وتشد من أزره وتتحمل معه أعباء الرسالة وذلك بعد أن سمع نداء ربه.

❊ ❊ ❊

الحلقة الخامسة عشر

قصه الأميرة زبيدة بنت جعفر المنصور
وزوجها الخليفة هارون الرشيد

وراء كل عظيم امرأة عظيمة هي التي تدفعه إلى الأمام وتعينه على اجتياز المصاعب والعقبات ، ولعل في قصة السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد أروع مثل لذلك فهي السيدة الثانية في الدولة بعد أمه السيدة الخيزران .

وهى زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المُطّلب بن هاشم، زوجة هارون الرّشيد، وابنة عمّه واسم زبيدة لقبٌ غلب عليها؛ فاسمها الحقيقيّ هو أمَة العزيز، وإنّما سمّاها جدّها المنصور زُبَيدة وهي طفلة يُلاعبها؛ لبَضَاضتها ونضارتها

ولدت السيدة زبيدة عام 149 هجرية بالموصل بالعراق ، وهي زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد وحفيدة مؤسس الدولة العباسية أبو جعفر المنصور

كانت السيدة زبيدة سيدة عظيمة ولها أعمال جليلة ، كبناء أحواض لسقاية الحجاج في الطريق من بغداد إلى مكة ، والدليل على ذلك وجود عين باسمها بمكة المكرمة كما إنها كانت سيدة سخية ولها فضل كبير في الحضارة والعمران والاهتمام بالأدباء والشعراء والأطباء .

تزوج هارون الرشيد من زبيدة عام 165 هجرية في خلافة المهدي ، وهي ابنه عمه وخالته في نفس الوقت ، وكانت السيدة زبيدة امرأة بارعة الجمال رزينة العقل فصيحة اللسان تنظم الشعر وتنشده بإتقان ، وكانت أخلاقها سامية عالية فهام بها الرشيد حبًا وصار لها نفوذٌ كبيرٌ حيث كان هارون الرشيد يستشيرها في كثير من أمور الدولة .

وكان العصر العباسي حينها في مرحلة ازدهار امتدت ربوعه إلى القسطنطينية ، ومن شده حبها للأدب والعلوم وفرت في بغداد كل وسائل الراحة للشعراء والعلماء ، ووفرت لهم وسائل البحث والإنتاج وكان ممن اشتهر منهم أبو العتاهية والجاحظ وأبو نواس ، ومن علماء اللغة سيبويه ومن علماء الدين أبو حنيفة والإمام مالك ، وبذلت في ذلك الكثير من الأموال ، فلقد حولت بغداد إلى قبلة للعلماء والدارسين .

وكانت زبيدة تذهب في رحلات الحج مع زوجها الرشيد ، فشهدت معاناة الحجاج في الحصول على المياه ، لذا أمرت المهندسين بعمل دراسة لتوفير المياه ، فأخبرها المهندسون بأن الأمر في غاية الصعوبة فقالت : والله لو كلفت كل ضربة فأس دينارًا لفعلت .

وبالفعل بدأ المشروع ووصل المهندسين إلى منابع المياه في الجبال ،

وأوصلوها بعين حنين بمكة وتم إسالة المياه مسافة عشرة أميال حتى تصل للحجاج المسلمين ، وبنت زبيدة الكثير من المساجد وأقامت الآبار والبرك على الطريق من بغداد إلى مكة ، فكانت دائمًا معروفة بالخير والجود على جموع المسلمين .

ويذكر التاريخ خلافا مع زوجها هارون الرشيد :

كان هارون الرشيد يرغب في أن يتولى الخلافة من بعده ابنه الخليفة المأمون ، ولكن زبيدة كانت تريد الخلافة لابنها محمد الأمين ، فقد كانت أم المأمون جارية من جواري القصر تسمى مراجل وهي من أصل فارسي، وكان هارون الرشيد يميل لتعين المأمون من بعده لعلمه ورجاحة عقلة والتزامه بأدب الملوك والخلفاء على عكس الأمين الذي كان يغلب عليه الطيش .

وقد استغل البرامكة الفرس ذلك وأيدوا تولي المأمون ابن مراجل الفارسية لأنهم من نفس الأصل العجمي ، فأخبرت زبيدة زوجها بأن البرامكة يتآمرون عليه ليستولوا على الحكم والاستقلال بفارس ، فحدثت نكبة البرامكة وقتلهم هارون ولم ينج منهم أحد ، وهذا يوضح مدى النفوذ الذي كانت تحظي به زبيدة عند زوجها .

وقد ذكر التاريخ أن مشادة وقعت بينهما حينما قالت زبيدة لهارون الرشيد : إن ابني الأمين خير من ابنك المأمون فرد عليها هارون قائلاً : إن ابنك يزينه في عينيك ما يزين الولد في عين الأبوين ، فاتقي الله ، فو الله إن ابنك لأحب إليّ ، ولكنها الخلافة لا تصلح إلا لمن كان لها أهلاً،

وبها مستحقًا ، ونحن مسئولون عن هذا الخلق ومأخوذون بهذا الأنام ، فما أغنانا أن نلقى الله بوزرهم ، وننقلب إلى الله بإثمهم .

ولكن ما حدث بعد ذلك أثبت سلطة زبيدة حيث تم تعيين المأمون ولي عهد للأمين وأثبت التاريخ فشل الأمين في الحكم حيث انقلب عليه الجميع بعد إساءته لعدد كبير من القادة والطوائف ، وكانت نهايته مأساوية حيث قتل على أيدي أنصار المأمون .

ولكن زبيدة وأدت الفتنة وأرسلت إلى المأمون كتابًا تقول فيه أهنئك بالخلافة ولئن كنت قد فقدت ابنًا خليفة فقد عوضت بابنًا خليفة لم ألده ، وكان المأمون يسعى دائمًا إلى رضاها ومودتها .

عاشت هذه السيدة العظيمة 32 عامًا بعد وفاة زوجها هارون الرشيد، وتوفيت ببغداد عام 216 هجرية وظلت سيرتها تعطر أفواه الذاكرين عبر السنين لما فعلته للعلماء والحجاج من خير وفير ما زالت آبار مكة تشهد عليه إلى الآن

❊ ❊ ❊

الحلقة السادسة عشر

قصه حب واختيار الأميرة شهربانو لزوجها مولانا الحسين رضي الله عنه

هي شهربانو شاه زنان بنت يزدجرد بن أنوشروان أميرة فارسية، واسمها يعني باللغة العربية "ملكة النساء" ولقبت بـ "سلافة" وهي ابنة آخر أكاسرة الفرس.

وهى زوجة الحسين بن علي بن أبي طالب،حفيد رسول الله صلى الله علية وسلم

وقعت في الأسر هي وأختيها بعد انتصار الجيوش العربية على الجيوش الفارسية في الفتوح الإسلامية وقد تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنجب منها ابنه علي زين العابدين .

سمّاها أمير المؤمنين مريم ، أو فاطمة ، أو شاه زنان ، واسمها خولة ، أو سلافة ، أو غزالة ، ولعلّها كانت لها عدّة أسماء وألقاب .

السيّدة شهربانو هي جدّة ثمان من الأئمّة ، وزوجة سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين ، وأُمّ الإمام زين العابدين ، وحفيدة كسرى ملك الفرس .

ولم يكن بعض أهل المدينة يرغبون في نكاح الجواري حتّى ولد الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فرغبوا فيهنّ ، وكان يُقال للإمام السجّاد : ابن الخيرتين ؛ فخيرة الله من العرب هاشم ومن العجم فارس .

وقصه زواجها من الإمام الحسين انه لمّا ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بن الخطّاب بيع النساء، وأن يجعل الرجال عبيدًا، فقال علي بن أبي طالب : إنّ رسول الله قال: أكرموا كريم كلّ قوم. فقال عمر: قد سمعته يقول :إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وإن خالفكم. فقال له علي بن أبي طالب: هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلم ورغبوا في الإسلام، ولا بدّ أن يكون لي فيهم ذرّية، وأنا أُشهد الله وأُشهدكم أنّي قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله... فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصّني وسائر ما لم يوهب لك. فقال أمير المؤمنين: اللّهمّ اشهد على ما قالوه وعلى عتقي إيّاهم.فرغب جماعة من قريش في أن يستنكحوا النساء، فقال علي بن أبي طالب: هنّ لا يُكرهنَ على ذلك، ولكن يخيّرنَ ما اخترنه عُمل به.

فأشار جماعة إلى شهربانو بنت كسرى فخُيّرت وخوطبت من وراء الحجاب والجمع حضور، فقيل لها: مَنْ تختارين من خطّابك، وهل أنت ممّن تريدين بعلاً؟ فسكتت. فقال على بن أبي طالب قد أرادت وبقي الاختيار. وبعدها أومأت بيدها واختارت الحسين بن علي، فأُعيد القول

عليها في التخيير، فأشارت بيدها وقالت: هذا إن كنت مخيّرة. وجعلت علي بن أبي طالب وليّها، وتكلّم حذيفة بالخطبة..

فتزوّجها الإمام الحسين ، وأنجبت له الإمام زين العابدين

وبخصوص اختيارها لمولانا الحسين فقد روت السيّدة شهربانو قصّتها لأمير المؤمنين فقالت : رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين علينا ، كأنّ محمّدًا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دخل دارنا ، وقعد ومعه الإمام الحسين ، وخطبني له وزوّجني أبي منه ، فلمّا أصبحت كان ذلك يؤثّر في قلبي ، وما كان لي خاطب غير هذا ، فلمّا كانت الليلة الثانية ، رأيت السيّدة فاطمة وقد أتتني وعرضت عليّ الإسلام وأسلمتُ ، ثمّ قالت : ((إنّ الغلبة تكون للمسلمين ، وإنّك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمة لا يصيبك بسوء أحد)) . وكان من الحال أن أُخرجت إلى المدينة .

سأل الإمام علي (عليه السّلام) شهربانو بنت كسرى حين أُسرت : ((ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل ؟)) . قالت : حفظنا عنه أنّه كان يقول : إذا غلب الله على أمر ذلّت المطامع دونه ، وإذا انقضت المدّة كان الحتف في الحيلة .

فقال الإمام علي (: ((ما أحسن ما قال أبوك ! تذلّ الأُمور للمقادير حتّى يكون الحتف في التدبير)) .

توفّيت السيّدة شهربانو في الخامس من شعبان من سنة 38 هـ في المدينة المنوّرة ، وذلك في نَفَاسها ، أي حين ولادتها للإمام زين العابدين..

***

الحلقة السابعة عشر

(قصه حب الجارية جنان جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي التي أعادت الشاعر أبا نواس إلى الطريق المستقيم)

أبو نواس، الشاعر المعروف الذى عاصر الخليفة المهدي ثم الرشيد ثم الأمين، والذى مات قبل أن يدخل الخليفة المأمون بغداد.

قرأنا عنه وله كثيرا من الشعر ، ولكن آخر ما يتوقعه المرء أن يتأكد حب أبى نواس لجارية من بنات عصره، كانت تدعى جنان . قال أغلب الذين كتبوا عن أبي نواس إن حبه لجنان كان صادقا، وكان حقيقة لم ينكرها أبو نواس ولا أنكرها أحد ممن عاصروه سوى قلة منهم شكوا في جديته .

فما هي حكاية أبي نواس وجنان والحب من أول نظرة .

كان أبو نواس شاعرا فذا أجمع شعراء عصره على تميزه حتى أن الشاعر أبا العتاهية وسَّط أحد أصدقائه يطلب منه ألا يقول الشعر في الزهد حتى لا يتفوق عليه .وقد اشتهر أبو نواس بالمجون والزندقة، ولم يكن يخفي ذلك أو ينكره بل كان يجاهر بشذوذه، ويحكي عن مغامراته.

ويقول أبو الفرج الأصفهاني أن أهل أبي نواس حاولوا أن يزوجوه حتى ينصلح حاله فأبى عليهم ولكنهم ظلوا يلحون حتى أذعن أخيرًا فزوجوه جارية جميلة من أهل بيته، لكنه أعرض عنها، وطلقها.وعلى الرغم من ذلك ذكرت الأخبار أنه كان يعجب ببعض الجواري وأنه عشق جارية وطلبها من صديقه ذات مرة، وأصر على أن يهديها له، وأخيرًا حدث للحسن بن هانئ، ما لم يكن يتوقعه هو ولا أصدقاؤه .

لقد وقع في الحب، الحب من أول نظرة كما يحدث لشاب غرير في بداية الصبا وليس لديه أية تجارب في الحياة .ويقول لنا صاحب الأغاني : إن أبا نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها

وكان أول كلفه بها أنها مرت، وهو جالس مع فتيان من أهلها يتنزهون وينشدهم، فأبرزت عن وجه بارع الجمال، فجعل ينظر إليها، وأنشأ يقول:

إني صرفت الهوى إلى قمر ** لم تبتذله العيون بالنظر

إذا تأملته تعاظمك إلا ** قرار في أنه من البشر

ثم يعود الإنكار معرفة ** منك إذا قسته إلى الصور

وشغف بها حبا وهام بها، وقال فيها أشعارًا كثيرة وشكا وجده بحبها وهو لا يعرفها، وسأل عنها فلم يقع على خبر منها بعد اليوم الذي رآها فيه. وتناقل أهل البصرة شكايته من حبها وشعره فيها، وأكثروا ذكره في كل محفل وجمع .

فمن هي تلك المرأة التي فعلت ذلك بأبي نواس شاعر الخمر.

تلك كنت جنان جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي المحدث ويصفها أبو الفرج قائلا : " كانت جنان حلوة، جميلة المنظر، بديعة الحسن، أديبة عاقلة ظريفة، تعرف الأخبار وتروي الأشعار، وكانت مقدودة حسنة القوام " .

تلك إذن صفات المرأة التي لابد وأن تخلب لب الرجل مهما كان فاسقا أو منحرفا.

ويستوقفنا وصف الأصفهاني لجنان بأنها كانت أديبة تعرف الأخبار وتروي الأشعار ، أي أنها لم تكن مجرد وجه مليح وقوام معتدل، بل كانت ذات ثقافة وموهبة.

ولم تكن امرأة مثل أغلب جواري ذلك الزمان، بل كانت تفضل صحبة النساء على الرجال، وكانت حريصة على أداء فرائض دينها .وقد بلغ أبا نواس يوما أن معشوقته جنان قد عزمت على الحج.

فقال : أما والله ما يفوتني الحج والمسير معها عامي هذا، إن أقامت على عزيمتها، فظُن مازحا، ولكنه لم يكن يمزح بدليل أنه سبقها إلى الخروج .

سبحان الله مغير الأحوال.

جنان إذن كانت قادرة على أن تُقوِّم اعوجاج الشاعر الكبير، وأن تعيده إلى الصراط المستقيم فقد ذهب فعلا إلى الحج، وأحرم، ويقول الذين شاهدوه بالحج، أنه جعل ينشد الشعر، ويطرب في صوته بالليل حتى فتن به كل من سمعه.

يقول :إلهنا ما أعدلك ** مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك ** لبيك إن الحمد لك

والملك لا شريك لك ** ما خاب عبد ساءلك

أنت له حيث سلك ** لولاك يا ربِ هلك

ولكن الناس لم تصدق أن أبا نواس يمكن أن يتوب عن آثامه الكثيرة بسبب حبه لامرأة.

أما جنان نفسها فلم تكترث بحب أبي نواس لها وافتتانه بها، ولم تتحرك في قلبها أية عاطفة تجاهه، على الرغم من كل تلك الأشعار التي كان أبو نواس يعبر فيها عن حبه العميق لها، وكانت جنان تسخر من أبي نواس، حتى أنها خرجت ذات يوم هي وصاحبة لها حتى التقيا بأبي نواس، فلما رآها كاد أن يذهب عقله وتحير وراح يدبر ويقبل، أي أنه تصرف كتلميذ مراهق التقى مصادفة بمن يحب، وراحت صاحبة جنان تمازحه وتقول له : اجعلنى رسولاً إليها، فلعل الله أن يمن علي وعليك ، فلما بلغ ذلك جنان غضبت من صاحبتها

وكان أبو نواس يعلم أن جنان تحتقره وتسبه فقد تقرب من الثقفيين الذين كانت تنتمي إليهم وأصبح يزورها ويتحين الفرص ليبعث إليها بالرسائل التي تفيض حبا ووجدا، فكانت تسبه أمام من يرسلهم إليها، وتقول إنه كذاب.

يقول :

وما صدقت ولا رد عليها ** ولكن الملول هو النكوث

ولي قلب ينازعني إليها ** وشوق بين أضلاعي حثيث

رأت كلفي بها ودوام عهدي ** فملتني كذا كان الحديث

شكته جنان يوما إلى مولاها، وشتمته فذكر له ذلك .

فقال : من سبني من ثقيف فإنني لن أسبه.

فكان ذلك مما عطفها ورقق قلبها، وكان أول الأسباب إلى وصلها .

وكانت نتيجة هذا الكلام أن أهل جنان حجبوا جاريتهم عن أبي نواس، وأرسلوها إلى دار لهم في بلدة أخرى تدعى حكمان لكي ينساها، فكان يقصد الجبل بالبصرة فيسأل كل من أقبل من تلك الناحية وينشد :

اسأل القادمين من حكمان ** كيف خلفتما أبا عثمان

وأبا مية المهذب والما ** مول والمرتجى لريب الزمان

فيقولان لي جنان كما سر ** ك في حالها فسل عن جنان

مالهم لا يبارك الله فيهم ** كيف لم يغن عندهم كتمانى

صرت كالسئن يشرب الماء فيما ** قال كسرى بعلة الريحان

أو كما قيل قبل إياك أعني ** واسمعوا يا معاشر الجيران

فهو يتظاهر بالسؤال عن رجال آل ثقيف ولكن الكل يعلم أنه لا يعنيه إلا جنان، وقد بلغ ذلك الخبر مولاة جنان فبعثت إليه وقالت له : إن أردت وهبتها لك .

ولكن جنان مانعت في الزواج منه، واشترطت عليه ألا يعود إلى شذوذه،

وكانت نهايتهما التي لا نعلم منها إلا هذه. وإن كثرت الأقاويل عن زواجهما و عدم عودته إلى المعاصي مرة أخرى بعد وعده لجنان

و في الختام أريدأن اقص طرفه عنه قبل وفاته مباشره فقد جاء رجل إلى أبي النواس وهو يحتضر ، فقال له : متى تموت يا أبا النواس ؟

فقال أبو النواس : ولماذا هذا السؤال ؟

أجاب الرجل : لأن والدي توفي مند ثلاثة أشهر وأريد أن أرسل إليه رسالة....

فنظر أبو النواس وقال :يؤسفني أن لا يكون طريقي على جهنم . فابعث رسالتك لأبيك مع غيري

❊ ❊ ❊

الحلقة الثامنة عشر

هي ما يطلق عليها حرفيا حب للابد ما بين الشاعر بن زيدون وولادة في العصر الأندلسي

فهو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي القرشي ، ولد عام 494هـ \1003م ينتمي إلى قبيلة مخزوم القرشية ، نشأ في بيت حسب ونسب ، الأب ثري صاحب أموال وضِياع، ويعمل بالقضاء والفقه ، اهتم بابنه (ابن زيدون) فأحضر له الأدباء والمُثقِفين ، وعندما توفي كان ابن زيدون في الحادية عشرة من عمره ، وانكب بعدها ينهل من المعارف والعلوم حتى أصبح واحدًا من أشهر الشعراء العرب..

أما هـي :

ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الخليفة "المستكفي بالله " أشهر نساء الأندلس ، وإحدى الأميرات من بني أمية ، جميلة شقراء فاتنة ، ذكية، شاعرة ، متحررة ، رفعت الحجاب للمرة الأولى في تاريخ الأندلس ، كانت بعد موت أبيها تقيم ندوة في منزلها يحضرها الشعراء والأدباء

ومنهم ابن زيدون ، فبادلته حبا بحب ، وهياما بهيام ، واحترقا بنار الحب والغرام ... وعاشا حياة محمومة بالحب والغيرة والمؤامرات ...

كانت ولادة تكتب على أحد عاتقي ثوبها ::

وأمكن عاشقي من صحن خدي

وأعطي قبلتي من يشتهيها

إن قصة حب ولادة وابن زيدون واحدة من أجمل قصص الحب والغرام في تاريخ الأندلس وفي تاريخ الأدب العربي بصفة عامة ، ولولا هذا الحب ما وصل إلينا هذا الشعر الجميل لابن زيدون ولولادة .

في حدائق مدينة قرطبة الأندلسية بدأ اللقاء الأول بين ابن زيدون وولادة .... هو في ميعة الشباب ، وهي أُنثى رائعة الجمال ،تحت ظلال الأشجار الوارفة ، كانا يتساقيان كؤوس الحب

تقول ولادة عن اللقاء الأول :

ترقب إذا جن الظلام زيارتي

فإني رأيت الليل أكتم للسر

وبي منك لو كان البدر ما بدا

وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر

ويروي ابن زيدون الشاعر الولهان :

يا أخا البدر سناءً وسنى

حفظ الله زمانا أطلعك

إن يطل بعدك ليلي فلكم

بت أشكو قصر الليل معك

وتتعاون الإضرابات السياسية ، التي كانت سائدة في ذلك العصر، وما نتج عنها من مؤامرات ووسائل لم ينج منها أي شيء حتى الحب الصادق بالإضافة إلى الغيرة ضد هذا الحب ، ومحدث القطيعة بين الحبيبين ابن زيدون وولادة

ويرجع النقاد هذه القطيعة إلى أسباب شتى ، منهم من يقول إنها الغيرة ، لما ذكر أنه في أحد الأيام استمع ابن زيدون إلى صوت جارية ولادة واسمها "عُتبة " وطلب منها أن تعيد ، فغضبت ولادة إذ ظنت أن ابن زيدون يغازل جاريتها وسرعان ما أنشدت :

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا
لم تهو جاريتي ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله
وصخت للغصن الذي لم يثمر

ولقد علمت بأنني بدر السما
لكن دهيت لشقوتي بالمشتري

بينما يرى البعض الآخر أن سبب القطيعة بين ابن زيدون وولادة هو نقد ابن زيدون لبيت قالته ولادة وهو :

سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا

بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

وكان نقد ابن زيدون للبيت بأنه أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له .

وهنا اصطدمت ذات ولادة الشاعرية المتضخمة بذات ابن زيدون الناقدة ، وحدثت القطيعة .

وإن كان هناك من يرى أن القطيعة سببها انضمام ابن زيدون لحركة "الجهاورة" المعادية لبني أمية وهي بنت خليفة أموي .ولم تنتظر ولادة كثيرا فقد اختارت الوزير ابن عبدوس ليكون العاشق الجديد الكريه نكاية بابن زيدون الذي اعتدى على سلطانها الأدبي ، ونظر إلى امرأة أخرى كما تعتقد ، حاول ابن زيدون عبثا تقديم اعتذارات تلو الأخرى ليستعيد حبه الضائع بلاجدوى ، وما سمعت ولادة له ،حيث نجح ابن عبدوس وأعوانه في تدبير مؤامرة ضد ابن زيدون لإبعاده عن طريق ولادة

وبعد مدة قدم ابن زيدون إلى المحاكمة وحكم عليه بالسجن ..ومن سجنه راح ابن زيدون يئن ويتعذب ، ويكتب الكثير من القصائد الخالدة عن حبه الذي كان ، ولكن ولادة كانت قد أصمت الأذن وأغلقت مزاليج القلب

حينما دلت قصائد ابن زيدون على إخلاصه لحبه ولولادة ، فإنها بالتالي دلت على طبيعة ولادة العابثة اللاهية التي تتساقى كؤوس الهوى مع ابن عبدوس بينما الحبيب وراء القضبان يعاني الظلم والقهر والوحدة والانتظار..

ويهرب ابن زيدون من سجنه ويعفو عنه الخليفة ويحاول استعادة حب ولادة برقيق الشعر وعذب القول علها ترق وتعود لأيام الحب الأول فيرسل لها قصيدته الشهيرة التي يقول فيها ::

أضحى التنائي بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
هلّا وقد حان صبح البين صبحنا
حينا فقام بنا للحين ناعينا

بنتم وبنّا فما ابتلت جوانحنا
شوقا إليكم ولا جفت مآقينا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا
إن طالما غير النأي المحبينا

وفي الجواب متاع لو شفعت به
بيض الأيادي التي مازالت تولينا

عليك مني سلام الله ما بقيت
صبابة منك تخفيها فتخفينا

لقد تمكنت ولادة من ابن زيدون حتى بهجرانها فقد فجرت به طاقات شعرية هائلة أغنت تراثنا الشعري ، فلقد أحب وتعذب وعانى من أجل حب ضائع وما تمكن من استعادته حتى آخر لحظة من عمره

وقد نكل به الوزير آنذاك ووشي به عند الخليفة المستكفي فأمر الخليفة بسجنه إلى الموت وبعد أربعين عاما قضاها ابن زيدون في السجن تمكن من الهروب من السجن وقد وصل الخبر إلى مسمع الخليفة آنذاك وقد عفا عنه بحجه أنه قد كبر في السن . وأين ذهب ابن زيدون بعد هروبه من السجن . فلقد توجه إلى الحديقة المشهورة التي كان يجالس بها محبوبته ولادة

وقد علمت ولادة أن عشيقها ابن زيدون قد هرب من السجن وسرعان ما هتف قلبها بأنه هناك في الحديقة ينتظرها وسرعان ما توجهت ولادة إلى الحديقة وقابلت عشيقها ابن زيدون وحضنته بقوة وفارقا الحياة معا

عن أقوى قصة حب عرفها التاريخ

***

الحلقة التاسعة عشر

قصه الحب التي خلدها التاريخ بين جلنار حب الرمان و سيف الدين قطز قاهر التتار وتضحيتها فدائه

من عظيمات النساء اللواتي صنعهن الإسلام-أي أثمرتهن شجرة الإسلام- بعد مئات السنين من زمن الصحابيات : العظيمة المشهورة بلقب جلنار-حب الرمان- زوجة السلطان قطز!!

وجلنار -واسمها الحقيقي جهاد- هي ابنة جلال الدين بن خوارزم شاه، وزوجة بطل معركة عين جالوت سيف الدين قطز وابنة عمه..

وقد عاشت جلنار حياةً عصيبة مليئةً بالأخطار والمواقف الحرجة، وتجاوزت كل مراحلها بصبر وعزة وثبات وإباء، لتواصل حتى النهاية الخالدة المؤثرة التي تركت بصمتها على صفحات التاريخ... ليحدثنا عنها بأعظم فخار.

فقد فتحت جلنارعينيها على الحياة ،وحال الأمة مزري كحالها هذه

الأيام أوأسوأ،فقد كان العالم الإسلامي آنذاك يتعرض لحملات إبادة من قبل الصليبين والتتار ، وتحكمه طغمة حكام طغاة

وقد ترعرعت جلنار في جو الحرب والقتال، وعانت التشرد والأسفار هربًا من المغول، وطلباً للنجاة من إجرامهم الذي لم يكن يوفر امرأةأو طفلا أو شيخا كبيرا بل كانوا كالجراد أو كالنار يلتهم كل ما يصادفه أو يقف في طريقه.

وكان من أسوا ما تعرضت له أنها تحولت من ابنة ملوك إلى مجرد رقيقة أي جارية، حيث بيعت في سوق الرقيق كالمتاع مع أنها ابنة ملك كبير كُتبت عليه الهزيمة أمام التتار ليعاني هو وعائلته أشد المعاناة ..

وقد فرقت الأيام بينها وبين ابن عمها حيث عاش كل منهما في بيت أحد التجار أعواماً طويلة. ثم شاء الله تعالى أن يلتقيا في قصر الصالح نجم الدين أيوب عند زوجته شجرة الدر.

وفي قصر شجرة الدر عانت جلنار من العيش في أجواءالفتن والمؤامرات ، لكن كل هذا لم يزدها إلا صبرا وإيمانا بقضاء الله وقدره،وأن الله لا بد أن يجعل لها من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا .

وسارت الأيام وشاء الله أن تلتقي بابن عمها في ذلك القصر، ويهيئ الله تعالى لهما الزواج، ثم يهيئ لمحمود (قطز) مُلك مصر ومحاربة التتار..

وحصلت موقعة عين جالوت الشهيرة الحاسمة ، وأوشك النصر أن يكون لأمة الإسلام على أمة الوحوش، وعندها حاولت مجموعة من التتار اغتيال قطز لعلهم يغيرون من نتيجة المعركة في الوقت الضائع أو

في آخر اللحظات كما في مباريات كرة القدم .لكن البطل قطز نجح في قتل ثلاثة من مهاجميه ،وكاد فارس تتري رابع أن ينجح في طعن قطز من الخلف، فإذا به يفاجأ بفارس ملثم يضربه بالسيف فيرديه صريعاً، بعد أن تلقى منه ضربة قاتلة.. وما كان ذلك الفارس الملثم إلا جلنار زوجة القائد العظيم قطز والتي جاءت إلى المعركة لتفديه بنفسها وتنقذه من القتل ليظل قائدًا للمسلمين يقودهم نحو النصر النهائي على التتار الذين ارتكبوا بحق المسلمين من الفظائع ما لا يحيط به الوصف .

استطاع المغول أن يصلوا إلى زوجة قطز (جلنار حب الرمان) ويصيبوها بجرح قاتل فذهب إليها قطز وهو يقول: واحبيبتاه.. وازوجاه. فردت عليه لا تقل واحبيبتاه بل قل (واإسلاماه) ثم لم تلبث أن لفظت أنفاسها الأخيرة وعندئذ تركها قطز وهبّ إلى أعدائه وألقى بخوذته عن رأسه إلى الأرض وصرخ بأعلى صوته «واإسلاماه»، وحمل بنفسه وبمن معه حتى استطاعوا أن يشقوا طريقهم داخل الجيوش المغولية مما أصابها بالاضطراب والتفكك. ولم يمض كثيرٌ من الوقت حتى هُزِم الجيش المغولي ونصح بعض القادة (كتبغا)قائد جيش المغول بالفرار فأبى الهوان والذل وقتل بعض أصحابه وجرت بينه وبين الأميرجمال الدين أقوش الشمسي مبارزة حيث لم يمض وقت طويل عليها حتى سقط كتبغا صريعا مجندلا على الأرض وكان انتصارا كبيرا للمسلمين "

واإسلاماه ما أعظمها من كلمة ينهي بها المرء حياته ..أي وهو في آخر رمق.. نعم.. وا إسلاماه.. فمن أجل نشره وإعلاء رايته نقاتل.. لا

من أجل دنيا أو امرأة أو متاع زائل.. قل: واإسلاماه.. وارفع بها صوتك عاليًا ..

وتظل ذكرى جلنار عالقة في الأذهان، في صفحة تاريخية ناصعة مشرقة... تُبرز عظمة الفداء والوفاء، وتُظهر أروع صور التضحية النسائية المجيدة في تاريخ أمتنا الحافل بالصور العظيمة المشرقة ..

هكذا فلتكن النساء.. صبر على المعاناة، ورضا بالقضاء والقدر، واستعلاء على الألم، وتضحية في سبيل الله، ورعاية لحقوق الزوج الصالح، وافتداؤه بالنفس والروح

❊ ❊ ❊

الحلقة العشرون

"علي ونينو" رمز للحب في العالم كله، وليس في جبال القوقاز فحسب

قد تُغنى الكلمة عن ألف فعل، وقد يُغنى الفن عن ألف كلمة.. تمثالان من «السلك» في جورجيا تم تثبيتهما عام 2010، لرجل وامرأة، يحملان اسمى علي ونينو. للوهلة الأولى، لا تدرك ما البعد الفني لتمثالين متقابلين لا يحملان ملامح واضحة، إذا ما كنت تنظر إليهما عبر صورة فوتوغرافية.

ثم إذا شاهدتهما يتحركان ليتعانقا في مقطع فيديو، فإنك -للمفاجأة أيضًا- لن تُدرك ما المغزى الفني لأسلاك تمر عبر بعضها البعض، ثم تذهب مُبتعدةً مرَّة أخرى!

عرف الشعب الجورجي تلك التماثيل المتحركة على أنها تماثيل "رجل وامرأة"، والتي صممها النحات الجورجي تمارا كفيسيتادزي حيث يبلغ طولها 8 مترات من الأسلاك المعدنية الصلبة التي تتداخل معًا بالتفافها

في حركة دائرية، وكأنها تحتضن بعضها البعض، لتستخدم في الرمز إلى قصة حب مأساوية وقعت في جورجيا في منتصف القرن الماضي

أنت كمجرد سائح لا تعلم القصةالحقيقية وراء تلك التماثيل ولكن سُكَّان المدينة يدركون ما المغزى الفني من هذه الأسلاك جيدًا، فالرجل هو المسلم الأذربيجاني على خان شيرفانشير، والفتاة هي المسيحية الجورجية نينو كيبيانى، وهما بطلا رواية فيما بعد تحمل نفس اسم التمثال لكاتب يُدعى كوربان سعيد.

وتحكى قصه رجل ينتمى لآسيا التقليدية، وفتاة تنتمى لأوروبا المتطورة.. على يعتز كثيرًا بانتمائه لآسيا وثقافة بلاده، فيما تشكر نينو الله على ولادتها في جورجيا وإلا كانت مُضطرة لتغطية وجهها، ولكن لسببٍ مجهول ومعروف بالفطرة نقع في الحب دائمًا دون إجابة منطقية عن سؤال «لماذا هذا الشخص بالذات»؟

أما كاتب الرواية الت يأخذ قصه حبهم الأسطورية عُرف بكون اسمه «كربان سعيد»، لم يكن سوى اسم مستعار لليف نسيمبوم اليهودى، الذى تحوَّل إلى الإسلام، ولكن النازية الألمانية والفاشية الإيطالية كانتا له بالمرصاد..

أما بين الطرفين فتشتعل نيران الحب بين على ونينو، ويعارض الأهل، ولكن مع إصرار الحبيبين يتم الزواج، و لم يكن هناك ما يُعكِّر صفو هذا الحب بين الطرفين، باستثناء صدمات حضارية يواجهها كلٌّ منهما حينما يعيش في احتكاك مع حياة الآخر.

ولكن مع تصاعد الأحداث خلال تلك الفتره في بداية القرن يقودنا نحو التدخل الروسي في أذربيجان إبَّان الحرب العالمية الأولى.. الحبكة تقودنا إلى خيارٍ صعب، حينما يكون لزامًا على (على) أن يختار بين الدفاع عن وطنه، أو الفرار مع نينو، ولكن دماءه التي تسيل في نهاية الحرب كانت نتيجة حسمه لهذه المُعضلة الصَّعبة بأن يترك نينو وطفلها يغادران إلى إيران، فيما ظّل هو مُدافعًا عن وطنه وعن ثقافته التي انتمى لها حتى النهاية.

وتم الفراق،

الذى يحدث بعد التئام قصيرٍ صوَّره التمثالان بعناقٍ يبدأ في التحرك يوميًّا عند السابعة مساءً، ويستمر لفترة قصيرة، قبل أن يتركا بعضهما. وبعد 10 دقائق تكتمل الحركة.

وتم تحويل تلك القصة الخالدةإلى فيلم ورواية من تأليف الكاتب الذى عُرف بكون اسمه «قربان سعيد»، الذى تحوَّل إلى الإسلام، ولكن النازية الألمانية والفاشية الإيطالية كانتا له بالمرصاد، فعاش حياة صعبة، ومات عام 1942 في ظروف غامضة، ليتضح فيما بعد أن رواية «على ونينو» التي صدرت عام 1937 كانت من أواخر نزفه الإبداعي، ولكن باسم مستعار.

وعلى حافة البحر الأسود، تراهما في كل ليلة، علي ونينو، العاشقان من ديانتين مختلفتين ليجسّدا قصة حب خيالية شكلتها الفنانة تمارا كفيسيتادز في مجسمين بطريقة مبهرة. تراهما يقتربان يومياً في تمام الساعة السابعة

مساء وكأنهما يقبّلان بعضهما ويتّحدان سويًا حتى تخالهما جسداً واحداً ليعودا ويفترقا ويبتعد أحدهما عن الآخر، ثم يلتقيان في اليوم التالي في الوقت عينه، فيُعيدان إلى الذاكرة كل يوم قصة حب تراجيدية خلال الحرب العالمية الأولى.

يبلغ طول التمثال 8 أمتار من الأسلاك المعدنية الصلبة التي تتداخل معاً حين يلتفّان معاً بحركة دائرية. تستغرق حركة التمثالين 10 دقائق ليتداخلا معاً بحلقاتهما المُتشابهة، ويقولا إنّ الحب جزء من كل إنسان، وإنّ الحب لا يعرف الحدود والتقاليد، وإنّ الناس يأتون ويذهبون وقد نذهب إلى المساءلة حول الجزء الذكوري والجزء الأنثوي في كل إنسان.

فيديو يوضح حركه التماثيل في العاصمة الجورجية

https: / /www.youtube.com /watch?v=3ds9fE0tnzE

❊ ❊ ❊

الحلقة الحادية والعشرون

غادة السمان وغسان كنفاني
عندما يحيا الحب في سطور الرسائل

من عاصر زمن المراسلات الورقية يدرك تماما عن أي متعة نتحدث، ويعرف اللهفة التي كانت ترافق انتظار رسالة ما، وقد يتذكر كيف كانت رسالة منتظرة وُضعت داخل صندوق البريد بعد طول انتظار كفيلة بإسعاد يومه وربما أكثر من ذلك...

فدعونا نتخيلْ كم تكون عذبةً الكلمات النابعة من وجدان شاعر، وكم هو رقيق بوحُ كاتبةٍ امتهنت التعبير !

ثم دعونا نتخيل مدى الجمال حين تتماهى تلك الكلمات في عاطفة صادقة نقية ، فتصير مزيجا عطريا ينسكب على السطور حاملا عبير ورودٍ غفت في طيات الرسائل، ورائحة أوراق صُفر تطيب كلما عتّقتها السنوات ...

بالحديث عن الرسائل والمراسلات فنحن نمهد لقصة الرائعين الروائيين والكاتبين المبدعين غادة السمان وغسان كنفاني .

عرفه العالم صلبا جامدا قويا، منتصرا بقلمه، مواجها لأعدائه ومغتصبي وطنه، الذين اغتالوه خشية كلماته، عرفه العالم مناضلا قوميا، لا يعرف للضعف والعاطفة طريقا، لكن لم يعرفه العالم عاشقا متذللا خاضعا تحت إرادة الحب وسطوته، لم يعرفه العالم مغرما ينسج قلمه كلمات تفوح حبا برائحة تمتزج فيها رائحة زهر دمشق وبارود يافا.

بدأت القصة في الستينيات من القرن الماضي، كان هناك روائي شاب فلسطيني مسيحي يدعى «غسان كنفاني»، تعرّف إلى أديبة سورية مسلمة تدعى غادة السمان، هي مجرد معرفة عابرة في جامعة دمشق، ويقال إنهما التقيا بعد ذلك في القاهرة في إحدى الحفلات الساهرة، وفي تلك الليلة قال لها غسان: «مالكِ كطفلة ريفية تدخل المدينة أول مرة؟».

ومن هذه الليلة والصلة توثقت بينهما في عدة دول عربية، وعاشا علاقة حب لم يسبق لها مثيل، ليتبادلا بعدها رسائل كانت ثمرة هذه العلاقة، والتي نشرتها غادة على كتاب أصدرته عام 1992 في ذكرى المناضل غسان السنوية بعنوان «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان».

وكعادة أغلب قصص الحب التاريخية العظيمة، التي تحمل في جنباتها الألم وتنتهي بالفراق، هذا الحب المستحيل ربما وقفت أمامه العديد من القيود الاجتماعية والدينية، لكنها لم تقف في وجه مشاعر غسان وكلماته، هو في وادٍ وهي في آخر، وسماء الأدب والإبداع كانت الملتقى.

توفي البطل متفجرا على يد الموساد الصهيوني، مبعثرا كحروفه العاشقة، التي نشرتها غادة بعد استشهاده بـ20 عاما؛ لتقول للعالم إن المناضل العنيد، يحمل بين ثناياه قلب شاعر.

وهنا نقتبس بعضا من رسائل غسان لغادة وبعض أقوال غادة.

ـ «غادة، عندما أمسكت الورقة لأكتب، كنت أعرف أن شيئا واحدا فقط أستطيع أن أقوله، وأنا أثق من صدقه وعمقه وكثافته، وربما ملاصقته التي يخيل إليّ الآن أنها كانت شيئا محتوما وستظل كالأقدار التي صنعتنا: إني أحبك». غسان

ـ «إني أحبك إلى حد أستطيع أن أغيب فيه بالصورة التي تشائين، إذا كنت تعتقدين أن هذا الغياب سيجعلك أكثر سعادة، وبأنه سيغير شيئا من حقيقة الأشياء». غسان

– «كنت ممتلئة بك، راضية مكتفية بك، ولكن زمننا كان مثقوبا، يهرب منه رمل الفرح بسرعة». غادة

ـ «ولم أقع في الحب، لقد مشيت إليه بخطى ثابتة، مفتوحة العينين حتى أقصى مداهما، إني واقفة في الحب، لا واقعة في الحب، أريدك بكامل وعيي». غادة

ـ «نعم كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني، جسده المهترئ بالنقرس لا يرسمه جيدا، ولا يعبّر عنه، ولكنه حر يفعل ذلك بإتقان، وحين أقرأ رسائله بعد عقدين من الزمن أستعيده حيا، ويطلع من حروفه كما يطلع الجني من القمقم، حارا ومرحا في صوته الريح... يقرع باب ذاكرتي،

ويدخل بأصابعه المصفرة بالنيكوتين، وأوراقه وإبرة «أنسولينه» وصخبه المرح، ويجرّني من يدي لنتسكع معا تحت المطر، ونجلس في المقاهي مع الأصدقاء، ونتبادل الموت والحياة بلا أقنعة...ونتبادل الرسائل أيضا». غادة

ـ «عزيزتي غادة، أراكِ دائما أمامي، أشتاقكِ، أعذب نفسي بأن أحاول نسيانك، فأغرسك أكثر في تربة صارت كالحقول، التي يزرعون فيها الحشيش، مأساتي ومأساتك أنني أحبك بصورة أكبر من أن أخفيها، وأعمق من أن تطمريها». غسان

ـ «أنت من جلدي، وأحسك مثلما أحس فلسطين، ضياعها كارثة بلا أي بديل، وحبي شيء في صلب لحمي ودمي، وغيابها دموع تستحيل معها لعبة الاحتيال». غسان

ـ «أيها البعيد كذكرى طفولة، أيها القريب كأنفاسي وأفكاري أحبك، وأصرخ بملء صمتي: أحبك». غادة

ولعل أشهر المراسلات في الأوساط الأدبية التي أبصرت النور وأثار نشرها معارضة الكثيرين كانت تلك المراسلات التي تبادلتها غادة السمان مع الأديب الفلسطيني الكبير غسان كنفاني . صحيح أن طبيعة العلاقة لم تكن واضحة بسبب غياب نصف الحقيقة ونشر رسائل طرف واحد هو غسان، إلا أنّ عذوبة الكلمات المنشورة أوشت بعاطفة تراوحت بين مد و جزر وبين وصل وصد .

ولم تتهرب غادة من الاعتراف بأن غسان كان «أحب رجالها إلى قلبها»، لكنها في الوقت ذاته و رغم كل مشاعر الود رفضته حيث أنه

كان متزوجا وأبا لطفلين. جاء في احدى المراسلات :(غادة يا حياتي، أنتِ، بعد، لا تريدين أخذي، تخافين مني أو من نفسكِ، أو من الناس أو من المستقبل، لست أدري ولا يعنيني أنك لا تريدين أخذي، وأن أصابعك قريبة مني تحوطني من كل جانب، كأصابع طفل صغير حول نحلة ملونة، تريدها وتخشاها، ولا تطلقها ولا تمسكها، ولكنها تنبض معها، أعرف حتى الجنون، قيمتك عندي، أعرفها أكثر وأنت غائبة).

رغم أن رسائل غادة قد احترقت في جملة ما احترق من مقتنياتها خلال الحرب الأهلية ـ كما تقول ـ إلا أن القارئ لرسائل غسان كنفاني وحدها سيستجلي فيها حبا رقيقا لا محدودا، ويتعرف على وجه جديد للرجل القوي الصلب ولرمز تحدٍ ونضال من رموز القضية الفلسطينية والأدب المقاوم .

كانت النهاية الحزينة لذلك الحب المستحيل حين اغتال الموساد غسان كنفاني العاشق لقضيته و لغادة إلا أن ما خطه قلمه في سبيل ما أفرط في عشقه بقي خالدا لم تطله يد النسيان ولو بعد غيابه بسنوات.

«دونك أنا في عبث، أعترف لك مثلما يعترف المحكوم أخيرا بجريمة لم يرتكبها»

قالها لملهمته: ليظهر جانبه الذي لا يعرفه الكثيرون في عالمه السياسي والأدبي، جانبه العاشق ذو القلب المرهف، لقد قالها لزهرته الدمشقية.

❊ ❊ ❊

الحلقة الثانية والعشرون

جبران خليل جبران ومي زياده : الحبّ الصوفي السامي

قد لا يكون أسمى من قصّة الحب التي جمعت ما بين الشاعر والأديب جبران خليل جبران والأديبة اللبنانيّة مي زيادة التي عرفناها من خلال رسائل الحبّ التي خطّها جبران إلى بنت بلده طوال أعوامٍ جديدة. بالطبّع لم يقتصر كون الرسائل تعبيرا عن شغف وحبّ عذري جمع ما بين الفيلسوف ومّي، ولكنّها باتت من كلاسيكيّات فنّ المراسلة عند العرب وفي العالم أجمع.

نشأ الحب ما بين الاثنين ودامت العاطفة بينهما زهاء عشرين عاماً، دون أن يلتقيا إلا في عالم الفكر والروح والخيال إذ كان جبران في مغارب الأرض مقيماً في أمريكا وكانت مي في مشارقها في القاهرة. لم يكن حب جبران وليد نظرة بل كان حباً نشأ ونما عبر مراسلة أدبية طريفة ومساجلات فكرية وروحية ألفت بين قلبين وحيدين وروحين مغتربين. ومع ذلك كانا أقرب قريبين وأشغف حبيبين...

كان طبيعياً جداً أن يتعارف كلّ من جبران ومَي على بعضهما البعض عن طريق الفكر والنشر في أوائل هذا القرن، فلكلّ منهما شهرة كبيرة. وكانت مي معجبة بمقالات جبران وأفكاره فبدأت بمراسلته عقب اطلاعها على قصته "الأجنحة المتكسرة" التي نشرها في المهجر عام 1912. كتبت له تعرب عن أعجابها بفكره وأسلوبه، وتناقش آراءه في الزواج وقيوده، والحب وأطواره...

ومن هنا كانت البداية ومن ثم تواصل بالرسائل التي كان كل منهما يبحث عبرها عن روح الآخر في يقظته وأحلامه. كان كل منهما يسعى لرؤية ذاته في روح صاحبه، وكلما قرأنا هذه الرسائل النابضة بالحياة الناضحة بالصدق، كلما ازددنا يقيناً بأن الحب الذي شد جبران إلى مي، وشغف مي بجبران، حب عظيم، وعشق يكاد يكون صوفياً لأنه تخطى حدود الزمان والمكان والحواس إلى عالم تتحد فيه قوة الوجود ..

ولدى التأمل في بعض الرسائل يتّضح بأن الصلة ما بين جبران ومي قد توثقت شيئاً فشيئًا لأن لهجته في مخاطبتها تدرّجت من التحفظ إلى التودد، ومن الإعجاب إلى صداقة حميمة، ومن ثمَ إلى حب. وعام 1919 بلغ ذروته حتى عكرت صفوه سلسلة من الخلافات بينهما التي عبّر عنها جبران مرةً على أنها "هي معاكسات التي تحوّل عسل القلب إلى مرارة". والغريب حقاً في هذه الصلة تأرجحها ما بين الحب الجامح والفتور، بين التفاهم التام الذي كان يضفي عليهما شفافية روحية تغمرهما بالسعادة، وبين سوء التفاهم الذي كان يؤلمهما ويؤدي إلى القطيعة أحيانا. ولكن شدة ولع كل منهما بالآخر كانت تدفعهما للتصالح مجدداً في كلّ مرّة.

كانت مي في حياة جبران الصديقة، والحبيبة الملهمة، وصلة الوصل بينه وبين وطنه، وأكثر ما أحبه فيها عقلها النيّر الذى تجلى في مقالاتها وكتبها، كما أحب فيها حبها له وإعجابها بشخصيته وإنتاجه الأدبي والفني الذي كانت تتناوله في مقالاتها في مصر.

وعلى الرغم من كل ما كُتب عن علاقات جبران الغرامية من النساء أمثال "ماري هاسكل" وميشلين" فأن حبه لمي كان الحب الوحيد الذي ملك قلبه وخياله ورافقه حتى نهاية حياته. فقد كان حبه لها معادلاً حبه العارم لوطنه لبنان، ولروحانية الشرق، وبالدم العربي الذي يجري في عروقه.

ويميل المحللون للاعتقاد بأنه لم يكن يفكر في الزواج لاعتلال في صحته منذ شبابه، ولا ريب أن مي أحبت جبران حبًا جعل المقارنة بينه وبين الذين خطبوا ودّها أمراً مستحيلاً، على الرغم من تردد مي في الإعراب عن مشاعرها وخشيتها في الانطلاق على سجيتها في مراسلته، وذلك لأن جبران كان يعيش في عالم متطور تحررت نساؤه من التقاليد، بينما مي فكانت مغلولة القلب والقلم بتأثير البيئة التي عاشت فيها حتى ولو إنها جعلت من بيتها صالونًا أدبيًا يلتقي فيه كل ثلاثاء رجال الأدب والفكر أمثالأحمد لطفي السيد وخليل مطران وطه حسين وعباس محمود العقاد وغيرهم من الأدباء والمفكرين.

لقد تمنى جبران أن تتحرر مي من عقدها النفسية وشكوكها مي عانت صراعاً نفسياً حاداً في حبها لجبران سبّب لها الشقاء ولجبران

العذاب والإرهاق. وحين تجاوزت الخامسة والثلاثين من العمر لملمت كل شجاعتها وكتبت له أجمل رسالة حب.

ربما يكون أهل مي وبعض المقربين منها قد أطلعوا على صلتها بجبران في حياتها، ولكن المرجّح إنها كانت حريصة على إخفائها عن الناس جميعاً وأبقتها سراً دفيناً في نفسها حتى ذلك اليوم الذي فجعت بموته عام 1931. فبعد انقضاء شهر على وفاته اعترفت ميّ لقرائها بوجود مراسلة طويلة بينها وبين جبران وذلك في مقالة "جبران خليل جبران يصف نفسه في رسائله" ضمت فيها فقرات قصيرة من رسائله إليها، وعبرت عن حزنها العميق عليه مصّورة غربتها وغربته في الوجود بعبارات موجعة قالت فيها:

"حسناً فعلت بأن رحلت! فإذا كان لديك كلمة أخرى فخير لك أن تصهرها وتثقفّها، وتطهرها لتستوفيها في عالم ربما يفضل عالمنا هذا في أمور شتى..."

استبد الحزن بمي زيادة وعاشت في غمرة الأحزان تمزّقها الوحدة والوحشة. فبعد فقده أصيبت بانهيار عصبي، تبعه تدهور في صحتها، فاعتزلت الناس، وأرسلت إلى قريب لها في بيروت، الدكتور جوزيف زياده رسالة مؤثرة وصفت آلامها وتردّي صحتها. وقادتها تلك المحنة إلى لبنان موطنها الأصلي وأدخلتها ظلماً إلى مصح الأمراض العقلية مما طعنها في كرامتها، وقضت ثلاث سنوات متنقلة بين المستشفى ومصح

دكتور بيريز وبين بيت متواضع. إلى أن هبّ أقرباؤها لإنقاذها، فعادت إلى القاهرة وعاشت سنتين ونصف إلى أن ذوت شيئاً فشيئاً فتوفيت عام 1941.

اصطحبت مي رسائل جبران معها إلى لبنان، وكانت تلجأ إليها على انفراد حين يشفّها الوجد، وتتأمل فيها وفي صورة لجبران كتبت بخطها عليها "وهذه مصيبتي منذ أعوام".

❊ ❊ ❊

الحلقة الثالثة والعشرون

قصه حب عمر الشريف لفاتن حمامه
حتى آخر لحظات عمره

كانت نهاية العمل في " صراع في الوادي " تقترب ، ولم تبق إلا أيام قليلة ، وتفترق فاتن عن عمر ، وقد يتلاقيان فيما بعد أو قد لا يتلاقيان ، وكانت فاتن تجلس في نهاية البلاتوه الكبير ، قصر والدها الباشا " زكي رستم " في الفيلم ، وكان عمر يغالب رغبته في أن يعترف لفاتن بالحب ويعاند إشفاقه على نفسه من أن ترده فاتن حمامة بلباقتها المعهودة.

استجمع عمر الشريف كل إرادته وخطا تجاه الركن الذي تجلس فيه فاتن وحيدة وهمس لها في انفعال :

– مدام فاتن.. أنا بحبك .

ألقت فاتن نظرتها عند قدميها وصمتت، لم تعقب ، فقال عمر :

– هل تقبلين قلبي.. هل تحبينني

هزت فاتن رأسها هزة بطيئة ، فامتدت يد عمر إلى يد فاتن ملامسة في حنان ورفق وتلاقت نظرات الحب بينهما ، فعاد يسألها :

هل تحبينني

دمعت عينا سيدة الشاشة وقالت في همس :

-نعم أحبك يا عمر

قال عمر :

- هل تقبلين الزواج مني

لكنها طلبت منه تأجيل هذا الأمر ، ثم في النهاية حققت ما أراده قلبها .

حكايتنا تنحصر في اختيار عمر الشريف وجهاً جديداً على الشاشة الفضية وأمام من؟! فاتن حمامة التي كانت في عنفوان شهرتها وقوة سطوتها ولياقتها الفنية.. فقد رفضت قبل ذلك أن يلعب أمامها الدور شكري سرحان حتى لا تقع في فخ الثنائيات.. لأنها مثلت أمام شكري سرحان فيلم ابن النيل لنفس المخرج يوسف شاهين.. واستعرضوا جميع فتيان الشاشة وقتها.. فلم يجدوا إلا شكري سرحان.. ولكن فاتن حمامة رفضت تماماً، بل وأصرت على الرفض.. واسقط في يد المنتج جبرايل تلحمي والمخرج يوسف شاهين.. وفكروا في إحلال لإحدى النجمات في ذاك الوقت بداية من ماجدة أو زهرة العلى أو هند رستم.. أو ... أو ... فلم يجدوا إلا فاتن حمامة هي الوحيدة التي تصلح للدور.

وهنا قفز إلى خيال يوسف شاهين صورة صديقه وزميل دراسته

عمر الشريف.. الذي لعب دور هاملت على مسرح كلية فيكتوريا وأقنع رمسيس نجيب به ..وسافر يوسف شاهين إلى الإسكندرية لكي يقابل عمر الشريف.. ويعرض عليه العمل بالسينما وكان عمر الشريف في ذلك الوقت قد تخرج من الكلية ويعمل في شركات والده بتجارة الخشب.. وأخذها عمر الشريف على أنها مزحة من صديقه يوسف شاهين.. ولكن يوسف شاهين أكدها له.. واصطحبه للقاهرة لإجراء اختبارات الكاميرا والأداء. وكم كانت المفاجأة عندما أسرع رمسيس نجيب بالتعاقد معه على بطولة فيلم صراع في الوادي ... وكم كانت المفاجأة أيضاً عندما وافقت فاتن حمامة فور وقوع عيناها على هذا الفتى من النظرة الأولى.. وبدأ الاستعداد التام للتصوير، وكان معروفاً عن فاتن حمامة، أنها بارعة في الاصطلاح المسمى بسرقة الكاميرا ممن أمامها.. ولكنها لم تفعل ذلك مع عمر الشريف في أي مشهد أو لقطة تضمهما سوياً ... وفعلتها مع باقي الممثلين معها بالفيلم سواء فريد شوقي.. أو زكي رستم أو حمدي غيث.. وهم باقي أبطال الفيلم.. بل كانت تجالس عمر الشريف أثناء الاستراحات لتعطيه من خبرتها وفنها الكثير..

منذ اللحظات الأولى أدرك أن هذه المرأة الصغيرة التي يقف بجوارها كالتلميذ تعني الكثير بالنسبة له، رغم خوفه ورهبته وتصوره أنه لن ينجح ولن يصبح ممثلاً مرموقاً، وعندما بدأت فاتن تشجعه وتساعده، شعر أنها تهتم به وتحاول جاهدة أن تعطيه مزيدًا من الثقة بالنفس، حينها تبلورت كل عواطفه وتركزت حول فاتن... ولم يدر بخلد أحد أن هناك قصة حب تتسلل في هدوء بين فاتن حمامة وعمر الشريف رغم

علمها بأنه مسيحي الديانة.. ولكنه كيوبيد الذي لا يعترف بالمسافات أو المستويات أو.. الديانات.. وكان معروفاً أن فاتن حمامة متزوجة من المخرج الرومانسي جداً ... عز الدين ذو الفقار وقد أنجبت منه طفلة اسمتها نادية ..

وكانت أيضاً ترفض أي مشهد أو لقطة فيها قبلة أو ملابس خليعة أو مشهد سرير أو حمام سباحة ... وكان بسيناريو الفيلم صراع في الوادي لقطة لعمر الشريف وهو ينزف بعد إصابته برصاصة أطلقها عليه حمدي غيث.. ويغشي عليه ... حيث يقع الشريف في البر الغربي في الأقصر على ظهره مصاباً بالرصاصة في صدره وكان المشهد مكتوباً بأن تأتي فاتن حبيبته وابنة الطاغية زكي رستم وتحتضن عمر فقط، لكن المذهل ..(وكان الحب قد وصل إلى مداه).. أنها انكفأت عليه وقبلته قبلة أذهلت الجميع بما فيهم يوسف شاهين.. وكانت قبلة غير سينمائية ولكنها قبلة حقيقية وطلبت فاتن حمامة من عز الدين ذو الفقار الطلاق بعد ذلك.. ونالت مطلبها.

وأشهر عمر الشريف إسلامه ... وتزوجا بعد أن أصبحت فاتن حمامة خالية من الموانع من عز الدين ذو الفقار.. والطريف أن الفنان شكري سرحان عندما رأى الفيلم ثار ثورة عارمة وصرح بالجرائد وقتها أن فيلم ابن النيل كانت به مشاهد أكثر سخونة من هذا المشهد ورفضت فاتن حمامة القبلة.. لماذا؟ ... وانتهت هذه القبلة بالزواج بعدما جمع الحب بين فاتن حمامة وعمر الشريف في قصة حب نادرة ولكنها للأسف لم

تستمر إلا لسنوات معدودة فقد خطفته السينما العالمية بعد ذلك فسافر إلي أوروبا وأمريكا ..وسافرت وراءه فاتن حمامة وحاولت أن تحقق العالمية مثله فمثلت فيلما بعنوان "رمال من ذهب " مع نجم فرنسي إلا انه لم يكتب له النجاح وكانت علي وشك اعتزال السينما وحاولت أن تنقذ زواجها إلا أنها لم تستطع وبالفعل تم الطلاق بينهما في بداية السبعينيات ومنذ ذلك الوقت لم يتزوج عمر الشريف.

بعد حوالي ثلاثة عقود من لقائهما الأول، صرح عمر الشريف: "لم أحب أو أتزوج بعد فاتن حمامة فهي المرأة الوحيدة في حياتي وحبي الأول والأخير. أما الانفصال فسببه بقائي في هوليوود ورفضها أن تترك حلمها وعملها في مصر، وبقيت على ذمتي لمدة عشرين عاماً دون أن أراها حتى طلبت مني الطلاق" بينما صرحت فاتن: شعرت أمام كلمات عمر الشريف الرقيقة في أول لقاء، أنني تلميذة صغيرة!

أما سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة فقد تزوجت ثلاث مرات في حياتها، وأشهر هذه الزيجات زواجها الذي انتهى في منتصف الستينات من الفنان العالمي عمر الشريف الذي من أجله انفصلت عن زوجها الأول المخرج عز الدين ذو الفقار، وقد أنجبت منهما نادية عز الدين ذو الفقار وطارق عمر الشريف، وتوفت وهى متزوجة من الطبيب د. محمد عبد الوهاب.

وقدم هذا الثنائي أجمل قصص الحب في السينما المصرية وهي نهر الحب "، أيامنا الحلوة، سيدة القصر، صراع في المينا، وقام بدور عمها

في فيلم لا أنام " وأنجبا ابنهما الوحيد طارق وفي أوائل الستينات التقى عمر الشريف بالمخرج العالمي دافيد لين الذي اكتشفه وقدمه في العديد من الأفلام، ومع انشغال عمر بالعالمية بدأ في إهمال زوجته وبيته ما أدى إلى انفصاله عن فاتن حمامة في منتصف السبعينات خاصة أن فاتن أصرت أن تظل في مصر.

ورغم أن وفاة النجم العالمي عمر الشريف، أعلنت فعليا منذ سنوات إلا أن غيابه عن الدنيا، بدأ تدريجيًا يوم موت حبيبة عمره "فاتن حمامة " في 19 يناير منذ سنوات حيث أصيب بعدها بصدمة نفسية قوية، ليصاب بالزهايمر بعدها كما أعلن ابنه طارق ليلقي ربه ولا زال في وجدانه حبه الأول لفاتن حمامه

رحم الله الجميع

❊ ❊ ❊

الحلقة الرابعة والعشرون

قصه الحب الأول والخير في حياه المايسترو
صالح سليم وزوجته زينب لطفي

صالح سليم أسطورة الكرة المصرية ومعشوق الجماهير حتي بعد وفاته، والأغلب يعرف تاريخه الكروي جيدا وبطولاته التي لازالت محفورة في القلوب، ولكن هناك جزء مظلم لم يتعرف عليه الكثيرون في حياة صالح سليم هي حياة الشخصية وزوجته حب عمره وكيف بدأت تلك القصة، سوف نتطرق إلي ذلك الجانب المختلف من حياة صالح سليم في الأسطر القادمة.

يقول أحد الصحفيين في لقائه مع صالح سليم وبعد محاولات عديده لإقناعه بالحديث عن حبه الوحيد وأخيرا وافق على مضض بشرط ألا تكون حاضره لهذا الحوار و يقول الصحفي في يومياته

وأمامي جلس صالح وكأنه تحول وأصبح شخصا آخر.. كانت نفس الملامح، ولكنها تخلت عن وقارها لتصبح أكثر رقة وعذوبة..

نفس العينين ولكن لم يعد ذلك الكبرياء هو الذى يخفى فيهما وإنما العشق والهوى.. وكانت المرة الأولى التي أرى فيها صالح سليم.. العاشقالرومانسي.. صحيح أنه سبق لي أن رأيت صالح سليم في مواقف ومشاعر كثيرة ومتباينة.. وصحيح أنه سمحلي بأن أقاسمه لحظات منتهى الفرح ومنتهى الحزن والألم.. ولكنها كانت المرة الأولى التي أرى فيها صالح سليم يحب.. أرى المايسترو العظيم على استعداد لأن يتنازل عن عظمته وإمبراطوريته كلها، لو كان ذلك ثمنا لإسعاد امرأة وحيدة أحبها أكثر من أي أحد ومن أيشيء آخر.. امرأة اسمها زينب لطفى.. الزوجة والصديقة وشريكة المشوار والطموحات والمواجع والنجاح والألم يومها قال صالح إنه مدين بكل شيء أو كل نجاح حققه.. إلى زينب..

قال لي أيضا إن زينب كانت دائما بالنسبة له هي السند الحقيقي، الذى يعتمد عليه ويطمئن به.. بل إنه في مواقف كثيرة.. صعبة وقاسية.. واجهها صالح واختار أثناءها قراراته المصيرية.. كان يعرف أن زينب هي وحدها التي ستبقى وتقف بجانبه.. بل ولم يكن يذهب ويسأل زينب أو حتى يستشيرها.. كان يكفيه أن يشعر ويتأكد أنها دائما ستبقى معه.. وأنها قادرة على أن تحميه وأن تغنيه أيضًا.. قابلة لأن تكون هي العزاء الحقيقي لأى فرصة ضاعت والسلاح القوى فيأي حرب محتملة.

وعلى الرغم من قوة شخصية صالح وصلابته في مواجهة حياته وظروفه ومقاديره.. إلا أنه كان ينسى كل ذلك ويشعر بالخوف فقط على زينب.. كان يخاف عليها إن مرضت أو تألمت بل وإلى حد أن ينشغل

ليلة كاملة في أفضل طريقة يخبرها بها، أنه أصيب بسرطان الكبد.. نسى صالح وقتها أنه هو المصاب، وأنه هو الأولى بالرعاية والحنان والاهتمام.. ولم يتذكر إلا أنه لا يريد إزعاج حبيبته وصديقته وشريكته بهذا الخبر الحزين.. ولابد من التأكيد هنا أن صالح مدين بالكثير جدا لزوجته ولوالده الدكتور محمد سليم.. ولهذين الاثنين تأثيرهما ودورهما في تكوين شخصية صالح.. وعلى حد تعبير صالح نفسه والذى لخص حكايته مع الاثنين حين قال لي.. كل صفاتيالتي تعجب الناس الآن وتدفعهم لاحترامي تعلمتها من والدى.. ثم جاءت زوجتيفعلمتني كيف أحافظ على هذه الصفات ولا أتنازل عنها مطلقا مهما كان الثمن أو المقابل.. وبكل هذه الصفات التي تركها الدكتور محمد سليم والتي حافظت عليها زينب لطفى.. تحول صالح سليم من إنسان إلى أسطورة.. أو على الأقل إلى رجل.. احترمه وأحبه كل الناس.

وإذا كانت زينب هي الحب الأوحد.. والأجمل.. والأكبر.. فى مشوار وحياة صالح سليم.. فقد ولد هذا الحب فوق متن باخرة مسافرة إلى الحوامدية.. ففي هذه الرحلة.. رأى صالح سليم زينب لأول مرة في حياته.. فكانت تلك اللحظات الاستثنائية التي يمكن أن يعيشها أي إنسان.. ويتذكر صالح تلك اللحظات.. بكثير من الرومانسية، وكثير جدا من الشجن.. ويقول إنه أحس وقتها بشيء ما داخله، لم يعرفه ولم يملك له تفسيرا.. وسرعان ما كبر هذا الشيء المكتوم.. في ملاعب وطرقات الناديالأهليفي الجزيرة.. وعبر أسلاك التليفون.. وداخل صالات السينما مع الأصدقاء والأقارب ولم يكن صالح في حاجة لكثير

من الوقت أو الجهد ليعرف أنه يعيش مع زينب قصة حب.. كان صالح وقتها يعرف تماما، ما هو الفارق بين الصداقة.. أو الإعجاب.. وبين الحب.. فقد نشأ صالح في وسط لا يبنى الأسوار أو يقيم الحواجز بين الرجال والنساء.. وبين الأولاد والبنات..

ونشأ صالح لا يرى في المرأة عورة، ولا يتعامل معها باعتبارها كائنا ضعيفا أو هزيلا يمكن إلغاؤه أو تسهل الحياة بدونه.. بل يمكن جدا أن تكون هذه المرأة هي السند والصديق الحقيقيفي الحياة.. وكان هذا من أهم ما تعلمه صالح من والده الدكتور محمد سليم.. بل إنه لم ينس أبدا صورة والده وهو يقول له.. يا صالح إذا مت واحتجت في حياتك إلى عون أو مساعدة.. فلا تذهب إلا إلى أم كلثوم أو تحية كاريوكا، وقل لهما إنك صالح ابن الدكتور محمد سليم.. وستجد أيا منهما أجدع من مليون راجل في مصر.

باختصار.. وقع صالح سليم في الحب.. وقرر صالح أن يفاتح أباه في موضوع زواجه.. وفوجئ بالدكتور محمد سليم ساخطا مستنكرا أن يجيئه ابنه الأكبر، يطلب الزواج وهو لم يكمل بعد دراسته في كلية التجارة.. وسخر الدكتور محمد سليم من ابنه قائلا..

– عايزنى أروح أفاتح أبوها فى حكاية جواز، وأقوله لو سمحت جوز بنت حضرتك للأستاذ صالح، اللى كل مؤهلاته لغاية دلوقتى إنه بيلعب كورة.

وأصر صالح على موقفه.. كان يعرف أن لعب الكرة في تلك الأيام

لا يصلح مبررا للزواج أو لأى شيء آخر.. ولكنه كان يملك ما هو أهم من لعب الكرة، وما يكفى لأن يقنع به والده ووالدها أيضا.. وهو أنه يحب زينب ويريد الارتباط بها.. وأنه معها سيفتش عن مستقبله، وأنه سيبنيه بمشاركتها ومساعدتها أيضا.. وفوجئ صالح بأن والد زينب أيضا يرفض مثل هذا الارتباط. لكن أمام إصرار صالح وزينب.. وافق الجميع ورضخوا احتراما لقصة حب حقيقية وجميلة أيضا.. وقبلت العائلتان فكرة الارتباط، ولكن مع تأجيل الزفاف حتى ينهى صالح سليم دراسته ومشواره المتعثر في كلية التجارة.

وأنهى صالح دراسته.. لم يعد لعب كرة القدم الآن هو المؤهل الوحيد الذى يملكه، وإنما أصبح يملك أيضا المؤهل الذى يمكن أن يعترف به وأن يحترمه أي أحد.. بكالوريوس التجارة من جامعة القاهرة.. فأصبح الزواج مطلبا مشروعا لكل من صالح وزينب.. واجتمعت العائلتان للاتفاق على كل الترتيبات النهائية واللازمة.. وفوجئ الدكتور محمد سليم بوالد زينب.. فريد باشا لطفى.. يطلب خمسة وعشرين قرشا فقط مهرا لابنته زينب.. وحين سئل فريد باشا عن الرقم الذى سيكتبونه في وثيقة الزواج كمؤخر صداق لابنته.. فوجئ الجميع بالرجل يقول أنه لا يريد شيئا.. وحين سيكتشف أن ابنته تريد الطلاق أو تحتاجه.. فسيكون هو الذى على استعداد لأن يدفع أي مبلغ مقابل إنقاذ ابنته وحمايتها.. وبالفعل تم عقد القران.. ثم أقيم حفل الزفاف في فيلا مختار باشا رسمي في مصر الجديدة..

وفى واقع الأمر، كان هناك حفلان لزفاف زينب إلى صالح سليم.. حفل في الدور الأرضي من الفيلا لكبار الضيوف أحياه المطرب محمد عبده صالح، والراقصة الشهيرة تحية كاريوكا.. وحفل آخر للشباب في الدور العلوى أحياه المطرب اللامع وقتها.. بوب عزام.. الخلاف الوحيد الذى نشب ليلتها بين زينب وصالح، كان رفض صالح للكوشة مقابل إصرار زينب مثل أي فتاة في مصر على أن تجلس بجوار عريسها في الكوشة وسط الناس.. وانتصرت زينب وجلس صالح في الكوشة لأول وآخر مرة في حياته.. وتكرر مثل هذا الخلاف طيلة مشوار صالح مع زينب.. خلافات كثيرة جدا دائما على أشياء صغيرة جدا.. ولكنها كانت تنتهى دائما إما بتنازل صالح أو زينب.. خلافات كان معظمها يدور داخل بيتهما هما الاثنان.. وبسبب تعارض رؤية كل منهما وتصوراته للبيت الذى يعيش فيه.. زينب كانت تأمل وتود في أن تسكن بيتا جميلا وأنيقا، وأن يغدو كل ما فيه مرتبا ولامعا ومتكاملا.. أما صالح فكان من القليلين جدا في حياتنا أو في بلادنا الذين آمنوا أن البيت لا ينبغي أن يضم بين جدرانه إلا ما يحتاجه صاحب البيت فقط، حتى وإن لم يبدُ جميلا في نظر أي أحد آخر..

وهكذا كان الخلاف الدائم بين صالح وزينب، والذى لم يخرج عن القليل منها حول مقعد جديد، أو مكان لصورة أو لوحة فوق حائط.

وعاش صالح مع زينب.. ولزينب.. ومن أجل زينب.. فقد آمن صالح دائما أن العلاقات الإنسانية مراحل ودرجات.. آمن أن الصداقة

الحقيقية أعمق وأقوى وأبقى من الأخوة أو قرابة الدم، لأن الصداقة ليس فيها اضطرار، وإنما تقوم كلها على الاقتناع والاختيار.. وآمن أن الزواج الناجح علاقة أقوى وأعمق وأبقى من أي صداقة.. لأن الصديق مهما كان عزيزا أو قريبا فهو في آخر الليل سيغادرك ويذهب إلى بيته، وإلى دنياه وتسترد أنت حريتك.. أما الزوجة فهي معك.. وستبقى معك.. تقاسمك كل شيء وكل وقت وكل خطوة.. وهكذا كانت زينب بالنسبة لصالح.. من بين الأشقاء وكل الأصدقاء والمعارف والأقارب.. هي وحدها التي كان صالح يعود إليها كل ليل وكل نهار.. يسألها ويراجعها ويقاسمها همومه ومخاوفه أو فرحته ومشاعره.

صالح سليم لم يعش يوما أحس فيه أنه كان يستحق امرأة أجمل أو أعظم من زينب.. بل كان على العكس تماما.. عاش حياته كلها وهو مدين لزينب.. عاشها يسعى ويجتهد لأن يصبح جديرا بحب وارتباط واهتمام أعظم امرأة التقاها طوال حياته

رحم الله المايسترو آخر الرجال المحترمين

❊ ❊ ❊

الحلقة الخامسة والعشرون

قصه الحب الحزينة لنزار قباني وزوجته بلقيس

الكتابة عن ملك الحب... هي الحب بعينه لشاعر أفنى عمره يحكي عن الحب والحرية... ولقد مثّل نزار قبّاني استثناءً بين شعراء العربية عبر مسيرته الشعرية الحافلة والممتدّة منذ بداية خمسينيات القرن الفائت حتّى العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين. لم يبدأ مغموراً، بل اشتهر منذ أوّل دواوينه وقصيدته السياسية المطوّلة: «هوامش على دفتر النكسة» التي تناولت هزيمة العرب...

ولقد كتب نزارقباني بحبر القلب، فملك القلوب جميعا.. وسكن فيها ! كتب في الحب والسياسة.. وشاركنا فتافيت الخبز والحب والحرية! كان الشعر عافيته ومرضه.. مولده ومقتله.. ضلاله وتوبته. كان يقول إن الشعر خنجر ذهبي مدفون في لحمي، أكره أن يتركني، ولا أكره أن يذبحني .

لقد عاش نزار قباني الألم.. والحزن.. والجرح عدة مرات في حياته.. فقد ماتت أخته الصغيرة وصال ومشى في جنازتها وعمره لم يكن وقتها يتجاوز الخامسة عشرة. وجاء الألم الأكبر في حياته عندما فقد ابنه الشاب توفيق ، كان شاباً عمره 22 عاماً.. طالبا بالسنة الثالثة في كلية الطب، سافر في رحلة علاج إلى لندن وعاد إلى دمشق في نعش خشبي.. كان ذلك في العاشر من أبريل عام 1973. كتب بعدها مقالة نثرية ينعى فيها ابنه بعنوان: كان ولدى.. فصار ولدكم .

نزار قباني شاعر الحب والغزل كانت له قصه حب جميلة رقيقة كنسمة ربيع حدث هذا في أواسط ستينيات القرن العشرين حين التقى بحبيبة العمر القصير الجميل، (بلقيس الراوي) وهي فاتنة من العراق تسكن أسرتها في حي الأعظمية ببغداد، وتسكن هي قلب نزار وسقط نزار في عينيها السوداوين وشعرها الطويل وروحها الأخاذة وشخصيتها الأسرة.

التقاها في حفل استقبال بسيط في إحدى السفارات العربية في بيروت، وكان خارجا لتوه من أزمة وفاة زوجته الأولى « زهراء» الدمشقية وولده «توفيق» الذي توفي إثر عملية جراحية للقلب في لندن، وهو ما يزال في الثانية والعشرين من عمره . وكانت ابنته الوحيدة «هدباء» قد تزوجت وانتقلت لتعيش مع زوجها في إحدى دول الخليج العربي.

كان نزار وحيدا تماما وكانت بلقيس قبيلة من النساء.. هيفاء فرعاء يكاد شعرها يلامس الأرض في استرسال لم تر عين نزار مثله . وهكذا

رآها.. بشكل جعله يعود إلى كتابة الشعر مرة أخرى بعد توقف دام ثلاث سنوات لم يكن يعرف له نزار مبررا. ويقول: «لكنها بلقيس أعادت الحبر للأقلام مثلما أعادت الدماء للعروق».

عاش نزار مع بلقيس التي تربعت على عرش قلبه أجمل قصه حب لكنها ككل قصص الحب في المدن العربية جوبهت بـ(لا)كبيرة جدا لكن الحب الصادق لم يهزم وبقي الأمل موجودا لينير درب العاشق لقد كان الاعتراض الأقوى على تاريخ نزار الشعري وكانت مجموعاته الغزلية وثائق أشهرها أهل بلقيس ضده لكن الشاعر كان قد عاهد محبوبته على الوفاء لحبهما والزواج.. ظل نزار يلاحقها بإصرار شديد مدة سبع سنين، رفضت من خلالها بلقيس أشخاصا عديدين لأنها تحب نزار على الرغم من أنه يكبرها كثيرا... وكانت لم تتجاوز الـ 23 من عمرها وهو في سن الأربعين

ماذا يفعل ولقد رفض أبوها (الراوي) تزويجه ابنته ولم تصلح شهرة نزار ولا مركزه الدبلوماسي السابق ولا قلبه الذي تربعت فيه ابنة الرجل العراقي ولا قلبها الذي احتله الشاعر السوري حيث لم يشفع كل هذا في ترقيق قلب الراوي ولا تفتيح عقله الذي لم يدله على قوة الحب وجبروته فحين يجمع بين البشر فلا لغة ولا دين ولا جنسية ولا عرق تعوقه إنها الثقافة الرحبة التي تصب الحياة في قالب صلب.

عاد نزار يمضغ المر ويشرب الحنظل.. يبكى.. يصرخ وتبكي معه حبيبة الفؤاد ولم يستسلما تعاهدا وانتظرا الوقت..... حتى جاءت فرصة

ذهبية في التاسع أغسطس 1969 حين دعي نزار إلى بغداد ليشارك في مهرجان الشعر العربي واختلى بنفسه ليكتب قصيدته في هذا المهرجان

وكتب نزار قصيده في مائه بيت وبيتين انتقد فيها الحكام العرب والسلاح وعرض من خلالها مشكلته الشخصية فهو واضح وجريء ومباشر وألقى نزار قصيدته الطويلة:

كان عندي هنا أميرة حب

ثم ضاعت أميرتي الحسناءُ

أين وجه في الأعظمية حلو

لو رأته تغار منه السماء

إنني السندباد مزقه البحر

وعينا حبيبتي الميناء

إن في داخلي عصور من الحزن

فهل لي إلى العراق التجاء

وأنا العاشق الكبير ولكن

ليس تكفي دفاتري الزرقاءُ

ها هو يلجأ إلى العراق، كاللجوء السياسي الذي يضمن الحياة بكرامة لطالبها، واستمع رئيس الجمهورية العراقية (أحمد حسن البكر) إلى القصيدة وتحرك فيه الإنسان المثقف الشاعر فقبل طلب اللجوء الغرامي الذي تقدم به نزار السوري لابنة بلده العراقية

ويشكل الرئيس وفدا لخطبة بلقيس ونزار تكونت من: الشاعر شفيق الكيالي وزير الشباب والشاعر شاذل طاقه وكيل وزير الخارجية ورعاية احمد حسن البكر.

هذا الوفد تسميه التقاليد القبلية (الجاهة) أي وجهاء القوم، إذا طلبوا لا يرد لهم طلب وإلا أصبح الرافض خصما للقبائل، والعرب عادة يحترمون طلبات الالتجاء فيدخلون في حمايتهم طالب الحماية حتى لو كان قاتلا.

وطبعا لم يرد الراوي طلب الدولة الأول في تاريخ البشرية

فوافق الراوي وانتصر الحب وانتصرت الشجاعة.

وطال الاستعداد للزواج لأسباب عديدة منها وفاة توفيق بن نزار في لندن عام 1972، وهو طالب الطب في دمشق، مات شابا طموحا حالما آملا

حزنت معه بلقيس واحترمت آلامه وساعدته في اجتيازها، وتزوجا في بيروت عام 1973 وعاشا حبا حقيقيا كاملا تم فيه المراد من رب العباد، فالحب بلا زواج كالمال في الأدراج... وأنجبا عمر وزينب وغنى نزار للحب والوطن، ثماني سنوات عسلا، شهدا، أزهارا وثمارا، صنعها أربعة من البشر، بلقيس ونزار وزينب... وعمر.

ولم تمر سوى أعوام قليلة وتحديداً في 15 ديسمبر 1981، حتى يصدم نزار صدمته الثانية، وكانت في وفاة زوجته وأمه الثانية بلقيس الراوي، ماتت في حادث مأساوي تحت أنقاض السفارة العراقية في بيروت على

إثر انفجار هائل بالقنابل وقع بها، ويصف نزار قباني هذه اللحظة قائلا: «كنت في مكتبي بشارع الحمراء حين سمعت صوت انفجار زلزلني من الوريد إلى الوريد ولا أدري كيف نطقت ساعتها : يا ساتر يا رب.. بعدها جاء من ينعي إلي الخبر.. السفارة العراقية نسفوها.. قلت بتلقائية بلقيس راحت.. شظايا الكلمات مازالت داخل جسدي.. أحسست أن بلقيس سوف تحتجب عن الحياة إلى الأبد، وتتركني في بيروت ومن حولي بقاياه، كانت بلقيس واحة حياتي وملاذي وهويتي وأقلامي»،

ويطلق الشاعر صرخة حزن مدوية، في قصيدة تعد من أطول القصائد المرثية التي نظمها نزار قباني، وهي قصيدة «بلقيس».

كانت من أطول القصائد التي كتب والتي حملت أحرفها حزنا لم يُعرف له مثيل، وكُتب على قبرها كلمات منها.

بلقيس

يا عطرا بذاكرتى..

يا زوجتى..وحبيبتى..وقصيدتى..

نامى بحفظ الله أيتها الجميله..

فالشعر بعدك مستحيل..

والأنوثه مستحيله

رحم الله الجميع

***

الحلقة السادسة والعشرون

فيروز وعاصي الرحباني: الحــب... الحلـم... والحــزن !

مع فيروز وعاصي الرحباني نحط الرحال اليوم ...لننبش في قصة حب وعمل وحلم وانكسار مؤلمة الأطوار... لقد كان عاصي هو كل الدنيا لفيروز، لقد عرفت الشهرة عبرهُ، وعرفت أيضًا الحب عبره، كان حبهما يفوق ما نعرفه، إلى حُب التفاصيل..

وإليكم الظلال والتفاصيل....

«هو الذي شجَّعنا على أن نذهب لمواعيدنا، فذهبنا.. وهو الذي علمنا أن نكتُبَ على ضفائرَ حبيباتنا، فكتبنا»، من لسانِ «قبّاني» إلى روْحِ «رحباني»، هكذا قال نزار عن عاصي في قصيدة كتبها عنه، وصدق في ما قال، فلقد عزف لنا عاصي الحب على لسان فيروزته، سيدة ألحانه، وقلبه معًا.

عاصي الرحباني، الذي خرج للدنيا في 4 مايو 1923، هو واحد من ثنائية «الأخوين رحباني» مع أخيه منصور، وزوج الفنانة فيروز، واللذين لازما بعضهما عملًا، وحُبًّا، وزواجًا.

يقول أحد القريبين من الرحابنة عن فيروز -بحسب صحيفة الشرق الأوسط- «لها شخصية مزاجية وطبع قاس. ليست سهلة المراس، لكنها كانت صبورة وطيعة جدا مع زوجها عاصي، خاصة حين يتعلق الأمر بالعمل والغناء. هنا كانت فيروز تسلس قيادتها للرجل الذي عمل على نحت موهبتها، وجعل منها أيقونة في أعين جمهورها، ليس فقط بالعمل على الصوت والأداء، ولكن بتحديد كيفية ظهورها، ومتى تتكلم أو تحتجب».

لم يكن ذلك يتم بتعمدٍ من عاصي ولكن بطريقة عفوية، فهو كان المسؤول عن كل شيء، وصناعة تلك النجمة كان يقع على عاتقه، يصفه ذلك القريب أن «له شخصية صعبة ومولعة بإتقان التفاصيل. لذلك فكل الذين يعملون معه، ومنهم فيروز، كان عليهم تحمله. لكن على فيروز كان يقع العبء الأكبر، لأنها النجمة الأولى في الأعمال التي كان يقدمها الأخوان رحباني. ومن هنا جاءت قسوته معها».

في نهاية السبعينيات، وعندما وصلت نجومية فيروز إلى أوجّها بدأت تتمرّد على عاصي، وأصبحت لها آراؤها الفنيّة، حتى أنها بدأت تقوم بأشياء يرفضها عاصي، ذاك الذي كانت تُسلم له كل صغيرة وكبيرة تتعلق بها، لكن حدث ما كان بمثابة إنذارٍ بقرب النهاية.

بدأ الفصل الأخير من حياته في عام 1972، عندما أصيب بنزيفِ دماغي، وكان يتم حينها التحضير لمسرحية «المحطة»، وبمرض عاصي، غاب رُكن التلحين في المسرحية، لذا سنحت الفرصة أمام الابن زياد الصغير ذي الـ17 عامًا حينها، للتلحين من كلمات عمه منصور، فكانت «سألوني الناس» بصوت فيروز، والتي جسدت حالة مرض عاصي وغيابه لأول مرةٍ عن عملٍ لهما في مقطع «ولأول مرّة ما بنكون سوا».

بعد فترة من الخلافات، وصل الزوجين إلى قرار الانفصال، وبالفعل انفصلت فيروز عن عاصي في 1978، وعاش عاصي المريض في رعاية بعض أقربائه، وكانت تلك هي نهاية عبق الرحابنة في أغاني فيروز، بدأت بعدها رحلة الابن زياد في تولي مهام التلحين لوالدته، لكنها غنت بين المرحلتين لعدد من الكتاب والملحنين بينهم زكي نصيف وفليمون وهبي، لكن النقاد يصفون مرحلة زياد، بأنها بعثت الحيوية مرة أخرى إلى فيروز، وأخرجت تلك المرأة الحرة المتمردة، الأكثر صلابة في مواجهة الرجل، وكانت أقدر على مواكبة الجيل الجديد الذي ما كان ليسمع أغاني فيروز مع الرحابنة بنفس الشغف.

في 21 يونيو 1986، كانت آخر سطور في حياة عاصي، عندما وافته المنيّة، وغاب عن العالم، وألحانه، وفيروز. لكن الفراغ الذي سببه لفيروز كان أكبر، رغم خلافاتهما والانفصال مؤخرًا، لكنه كان ببساطةٍ كل شيءٍ لها، تقول في حوارٍ: «يمكن لما مرض عاصي، بلشّت حس بإشياء كتيرة، مش كلها بقدر قولها، وبها لطريق بلشّت حس بالخوف أكتر، فيه كذا خوف يعني، فيه الخوف من أنه لما بيقدم الواحد عمل جديد، أنه يحبه الناس، هيدا طبيعي، وبعدين الطريق اللي مشيت فيه بعدين لما مرض عاصي، صرت أحس بخوف عليّ وعلى حالي وعلى شغلنا».

في حفلٍ لفيروز بعد موت عاصي، كانت تُغني أغنية «سألوني الناس» مرة أخرى، ويُقال إنه عندما وصلت لمقطع «بيعز عليِّ غني يا حبيبي، ولأول مرّة ما بنكون سوا» بكت فيروز، رُبما كان عاصي ملازمًا لها بروحه في كل أغانيها، أو رُبما لأن تلك الأغنية خاصة كانت له، لكن سخرية القدر جعلت منها واقعًا، تقول: «غيابه تعبني، وحسسني بكل الإشيا

اللي كان حملها عني، شي أكيد، وأنا كل ما أغني بمطرح، أكيد بيكون هو موجود، موجود مش بس بالغنيّة موجود شخصُه، وبفتكر يعني أني عم بعمُل إشيا متل ما هو بيحبها» ثُم صمتت قليلًا محاولة قتل دمعةٍ وجدت الطريق لجفنيها، لكنها غلبت كبرياء فيروز وغالبتها، فبكت.

كان عاصي هو كل الدنيا لفيروز، عرفت الشهرة عبرهُ، وعرفت أيضًا الحب عبره، كان حبهما يفوق ما نعرفه، إلى حُب التفاصيل، حتى في حُزنه الصعب كما تقول هي «حزن عاصي أكبر من مرضه وأخطر»، لكنها تعود وتقول: «لا رجل له دمعة بجمال دمعة عاصي»، حتى أن حبها كبر ليشمل ما يحب هو أيضًا تقول في فيلم «كانت حكاية» الذي يحكي حياتهما «حبيت صور عاصي ومطارحه، دخلت عليا وما عاد فيي اطلع منها، صارت هيي عالمي. كانت حياته قصيرة، بس مليانة شغل وتعب، ما كان يرتاح لا ليل ولا نهار، زيارته عَ الدني كانت قصيرة زرع جمال، تركلنا جمال كتير وفلّ بكير».

مؤكدٌ أن موت عاصي سبّب كسرًا داخل روح فيروز لا يُمكن جبره، لأنها ما عرفت الحزن إلا بعده، تقول «الإنسان لما بيشوف حلم عم يتحقق وفجأةً بينكسر هالحلم، بيحزن، وشي بداخله بينزف، وما بيوقف.. عاصي هو اللي كان، وبعدو ما راح يكون.. عيلتنا متل التراجيديا الإغريقية، الفرح فيها شي مؤقت، والحزن والألم هو الأساس، وفرحنا المؤقت كان الحلم. والحزن كان الحقيقة. بس ما كنت أعرف هالشي.. ما كنت أعرف إنه الإنسان إذا ضحك، راح يبكي ألف دمعة مقابل هالضحكة».

***

الحلقة السابعة والعشرون

رضوى عاشور ومريد البرغوثي..
قصة حب تحدت الأهل والحروب والمسافات

اشترك الشاعر والأديبة معًا في الانشغال بهموم البلاد، فقد ولدا قبل نكبة 1948 بسنوات قلائل. تأثر مريد البرغوثي بقضية فلسطين التي لم يجد لها حلاً طيلة عمره، فعبّر عنها في كتاباته بالنثر والشعر. أما رضوى عاشور عانت بشكل آخر في مصر، أجواء المظاهرات ومواجهة القهر والعدوان في 1956 و1967 وغيرها.

على سلم المكتبة المركزية في جامعة القاهرة، استمعت «رضوى» الطالبة في كلية الآداب إلى «مريد» الفلسطيني يلقي قصيدته على بعض الطلبة. هنا قررت رضوى ببساطة أن تتوقف عن كتابة الشعر الذي كانت تهواه، حين أدركت أنها أمام شاعر قوي وأصيل. وفي كتابه «ولدتُ هنا ولدُت هناك» يسترجع «مريد» ذكريات معرفته بزوجته، واشتراكهم في جماعات أدبية، وحديثهم عن الدراسة فقط دون مواضيع الحب والعشق.

تبشر «رضوى» زميلها بأنه سيصير شاعرًا فيجيبها وماذا لو فشلت؟، ثم يبشرها بأنها ستصير روائية فترد بالمثل ويضحك الاثنان على المستقبل المجهول.

تخرّج الصديقان في عام النكسة، كأنها جمعت بينهما في الهم المشترك، وسافر «مريد» إلى الكويت للعمل، ولم تنقطع رسائله لزملائه. وكانت رسائله لرضوى على أنها صديقته المثقفة، لكن بعد زياراته للقاهرة ولقاءها مع الزملاء، تغيرت اللهجة من صديق وصديقة إلى زوج وزوجة.

يتساءل مريد البرغوثي في مذكراته إن كان ظلم رضوى حين تزوجها، فالواقع أن أهلها رفضوا الفكرة رفضًا تامًا، فكيف تتزوج وحيدتهم بشاب غير مصري في مثل ظروف «مريد»؟. لم يشعر الشاعر بأي لوم تجاه موقف أسرة رضوى، لأنه يدرك أن مصيره مرتبط بمصير فلسطين التي عجز عن حل قضيتها أجيال من الناس.

عارض الأهل لكن الابنة لم تتردد في قرارها، ويعترف مريد أنه تعلم الإصرار من فتاة تصغره بعامين هي زوجته رضوى، تحقق ما تريده بكل وعي وشغف.

حصل مريد البرغوثي على لقب «لاجئ فلسطيني» حين فشل في العودة إلى بلدته رام الله في فلسطين، لكن الأمر ازداد سوءًا بعدما أثمر الزواج عن الابن الوحيد «تميم البرغوثي»، عانى هذا الابن فقدان الأب سريعًا منذ الطفولة.

بعد زيارة الرئيس السادات عام 1977 إلى إسرائيل، رحّلت السلطات المصرية مريد البرغوثي خارج البلاد بينما طفله لم يتجاوز الشهور الخمسة. ممنوعا نهائي من دخول القاهرة

تحكي رضوى عاشور عن مدة غياب زوجها التي طالت لسبعة سنوات، وخلال تسعة سنوات بعدها كان الزوج يدخل مصر بإذن خاص. وتحملت الأسرة هذا التشتت الأسري وما تبعه من اعتقال وسجن، حتى أن تميم كان ينادي أباه بالعم مريد وليس أبي مريد، ولم يعد الأب ثانية بشكل دائم إلا حين صار ابنه في الثانوية العامة.

ورغم التشتت والضياع والمشاكل، استطاعت الأسرة الصغيرة أن تصنع اسمًا في عالم الأدب والثقافة، في الشعر والنثر والرواية.

رضوى عاشور صارت روائية مهمة، بعدد من الروايات الناجحة، أشهرها رواية «ثلاثية غرناطة» عن آخر فترات حكم المسلمين للأندلس، ورواية «الطنطورية» عن مأساة اللجوء الفلسطيني.

أما مريد البرغوثي فكتب عددًا كبيرًا من دواوين الشعر، وكتابين نثريين أشهرهما «رأيت رام الله» التي يحكي فيها عن تجربة العودة لبلده بعد ثلاثين سنة.

أما الابن تميم البرغوثي صار أستاذًا أكاديميًا في العلوم السياسية، إلى جانب إصداره العديد من الدواوين عن قضايا فلسطين والعراق، سيرًا على خطى أبيه.

كتب مريد البرغوثي أكثر من قصيدة في حب زوجته رضوى، ومما قاله فيها ضمن قصيدة «أنا وأنت».

أنتِ جميلة كوطن محرر

وأنا متعب كوطن محتل

أنتِ حزينة كمخذول يقاوم

وأنا مستنهض كحرب وشيكة

أنتِ مشتهاة كتوقف الغارة

وأنا مخلوع القلب كالباحث بين الأنقاض

وظلت رضوى عاشور ظلت وستظل رواية لا تنتهي، عاشت تحلم بالحرية، وحملت ابتسامة تفاؤل لمستقبل مصر وشعبها وحين رحلت عن عالمنا في 2014، رثاها زوجها وابنها معًا، كل منها بشعره:

فقد قال زوجها

افتحوا الأبواب لتدخل السيدة

من ينشغل بحزنه على فقد المحبوب ينشغل عن المحبوب. الآن أطلب من حزنى أن يتجه إلى أقرب بوابة ويغادر هادئا كما أشاء أو هادرا كما يشاء لكن دون أن يلفت الأنظار. لا يعجبني جوعه ولا تلكؤه، أكاد أكرهه تحديدا لهذا السبب، كأنه حزن لا يثق بنفسه وكأنه إن اكتفى اختفى، وكأننا لم نشاركه مقعده ومخدته ومنديله وملمس حذائه على زجاج ساعاتنا.

لست أنت المهم اليوم ولا أنا أيها الحزن، أنا منشغل بها لا بك أنت. بسعيها العسير للنصر في مواجهات زمانها، واجهت السرطان خمسة وثلاثين عاما ومحدثوها لا يرون في حديقة لقائها إلا أشجار السرور وفاكهة السماح والرضا. واجهت السائد المتفق عليه والطاغية المسكوت عنه وواجهت، حتى الرمق الأغلى، ركاكة الناطقين باسمنا، وركاكة الضوء المشترى وركاكة الكلام وطقوس الهوانم. هيالتي جعلت لقلبها يدا منصفة تصافح الأضعف وتصفع جملة الطاغية وشبه جملته، يدا تسهر الليالى لتصحح الواقع والامتحان.

هي التي جعلت هشاشتها اسما آخر للصلابة. هي التي علمت الديكتاتور كيف ترفض انتباهه المشبوه لقيمتها، وفى سلة مهملات واسعة قرب حذائها الصغير (نمرته خمس وثلاثون) ترمى المناصب السمينة المعروضة والألقاب الرفيعة المقترحة ودعوات القصر التي يهرول إليها سواها، مكتفية بفرح القارئ ببرق السطور من يدها وفرح الطالب ببرق المعرفة من عينيها، هي الأستاذة صوتها ينادى أصوات طلابها لا آذانهم، لأن صوتها يُسمع ويَسمع. ولأنها لم تسع إلى أي ضوء، غدت بذاتها ضوءافي عتمة البلاد، وضوءا بين أغلفة الكتب وضوءا من أضواء اللغة العربية التيهي البطل الدائم والأول في رواياتها.

أخرج من أقرب بوابة يائسة أيها لحزن، ودعني أستبدل بك ابتسامتها التي تذهب حزن الرائى، فابتسامتها رأى. وموضع خطوتها رأى. وعناد قلبها رأى. وعزلتها عن ثقافة السوق رأى، ودائما جعلت رأيها معروفا

موقعا بإمضائها رغم زوار الفجر وفجور طاغية يروح وطاغية يجيء. رضوى جمال رأيها ورأيها جمالها. فالمظلوم يخسر إن لم يكن فى جوهره أجمل من الظالم. وهى لم تخسر جمالها حتى وهم يؤذونها بقبحهم ولم تخسر جمالها حتى وهى على وسادتها الأخيرة...

(ولا وحشه في قبر مريمة)

رحم الله الأديبة الرائعة رضوي عاشور و أسكنها فسيح جناته

* * *

نبذة عن الكاتب

عمرو محمد مرزوق

كاتب وروائي مصري من مواليد محافظة الغربية ومقيم بالقاهرة

ماجستير في القانون الجنائي جامعة القاهرة ومُقَيَّد بالدكتوراه بجامعة عين شمس

ومن إصداراته المطبوعة

- أناشيد الموت، إصدار دار اكتب 2014
- ميدوم، إصدار دار نون 2015
- شامبالا،إصدار دار نون 2016
- الكابوس،إصدار دار نون 2017
- نساء في التاريخ إصدار دار زين 2018 –

سي أوزير إصدار دار نون 2018

- دقات العاشرة اصدر دار أدباء 2000 مجموعة قصصيه
- ويبقي العشق اصدر دار السعيد 2018

للتواصل مع الكاتب الأكاونت الشخصي..

https://www.facebook.com/amr.m.marzouk

صفحة الكاتب على الجود ريدرز باسم : عمرو مرزوق

البيدج الأدبى للكاتب على الفيس باسم : عمرو م. مرزوق